الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر LMD
(تخصص: لسانيات تطبيقية)

"حجاجية النفي في عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي"
–نمـاذج مختـارة–

مقدمة من قبل الطالبيتن:

– شيماء بوحرام

– بريزة سايحي

اللّجنة المناقشة

إبراهيم براهمي	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
كمال حملاوي	أستاذ محاضر ب	مشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
أنيس قرزيز	أستاذ مساعد أ	ممتحنا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة

تاريخ المناقشة: 2022/06/20

السنة الجامعية:

2022/2021

شكر وعرفان

الحمد لله على إحسانه، والشكر على توفيقه وامتنانه، والصَّلاة والسَّلام على أشرف خلقه، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة واتم التسليم أما بعد: فإنه من الواجب علينا أن نشكر الله رب العالمين القائل في محكم التنزيل "لإن شكرتم لأزيدنكم" سورة إبراهيم 07، وقوله صلى الله عليه وسلم "من لا يشكر الله تعالى لا يشكر الناس"، وبعد شكر الله تعالى نثني بشكر "والدينا الكريمين" فلولا رضاهما عنا، وصادق دعواتهم لما تمكنا، من إنجاز شيء يذكر.

كما يشرفنا أن نتقدم بالشكر، والإمتنان الكبير إعترافا بالجميل إلى كل الذين أعانونا من قريب أو بعيد، فكانوا نعم السند حتى نوفق في إتمام هذا البحث.

ولا يفوت في هذا المقام أن نتقدم بجزيل الشكر والإمتنان مع صادق الدعوات إلى الأستاذ المشرف على هاته الرسالة "الدكتور كمال حملاوي" لقبوله الإشراف على هذا البحث، حيث كان لتوجيهاته ومساندته أكبر أثر في إتمام هذا العامل، فله منا فائق العرفان والتقدير.

كما نشكر أعضاء اللجنة كل باسمه على ما سيبذلونه من وقت، وجهد في قراءة هذه الرسالة، وتصويب ما فيها من أخطاء، داعين الله سبحانه وتعالى أن يكتب لهم الأجر والثواب، ونسأل الله في الأخير أن يجزي الجميع خير الجزاء.

شيماء وبريزة

إهداء

أولا لك الحمد ربي على كثير فضلك وجميل عطائك وجودك، الحمد لله ربي ومهما حمدنا فلن نستوفي حمدك، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

إلى ذلك الحرف اللامنتهي من الحب والرقة والحنان، إلى التي بحنانها إرتويت بدفعها إحتميت، وبنورها إهتديت، وببصرها إقتديت، إلى من سهرت الليالي لأجلي وكانت دعواها لي بالتوفيق تتبعني خطوة بخطوة في عملي، إلى أعز ما أملك في الوجود، إلى الصدر الرحب والحنون أمي الغالية "زهيرة" حفظها الله، إلى من أحمل إسمه بكل إفتخار، إلى درعي الذي به احتميت، وفي الحياة به اقتديت، إلى من احترقت شموعه ليضيء لنا درب النجاح، ركيزة عمري، وصدر أماني، وكبريائي، وكرامتي أبي "عمار" أطال الله في عمره.

إلى من هم أقرب إلي من روحي، إلى من بهم استمد عزتي، وإصراري، إلى من هم سندي في الحياة بعد أبي إخوتي، "أيمن "و"ضياء الدين."

إلى كل من يحمل لقب بوحراو وبوقرن.

إلى أختي التي لو تلدها أمي إبنة عمي "نور الهدى."

إلى أحسن من عرفني بهم القدر ولو يدركهم قلمي أقول لهم بعدتم ولو يبعد عن القلب حبكم.

إلى زميلتي سايحي بريزة التي كانت سندي طيلة إنجازات البحث.

تشكراتي وتقديري لهؤلاء.

شيماء بوحراو

إهداء

أهدي نجاحي وثمرة جهدي إلى:

إلى من كان سندي، وساء عزتي وكبريائي أخي الأكبر "مقران"

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي "أمي"

إلى معلمي الأول وقائدي وفخري ورفعة رأسي "أبي"

إلى قطعة السكر وظل الزهور والإسم الآخر للحب "أختي"

إلى الغالي سندي الثاني أخي الأصغر "عقبة"

إلى الشيء الجميل من كل شيء... الطاقة الإيجابية صديقاتي "عائشة "ميساء "خولة

"تيماء "بثينة "كوثر "ريان" لميس" شمس العلا" شيماء" سوسن" شروق"

إلى فراشتي الصغيرة إبنة خالتي أنفال

إلى العزيزة حفظها الله ورعاها عمتي فيروز

سايحي بريزة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصَّلاة والسلام على أشرف الخلق وسيّد المرسلين محمّد بن عبد الله المسلم الأمين، وعلى أنبيائه ورسله دعاة الهدى أجمعين وبعد:

عرف الواقع اللّساني المعاصر تطوّرات عديدة لتنطلق عملية البحث اللّغوي من المرحلة البنيويّة ثم الوظيفيّة، وصولًا إلى اللّسانيات التّداولية، والتي عملت هذه الأخيرة على إحداث تغيير، ونقلة نوعية من حيث المفاهيم والموضوعات والنتائج المحققة.

وتبرز أهمّية الدّرس اللّساني التّداولي: في دراسة وتحليل الخطاب، ومنح المتكلّم فرصة التّعبير عن مقصده والوصول إلى أهدافه وافتراضاته وما يريد تحقيقه وهو الأمر الّذي عجزت البنيويّة عن تحقيقه، وبهذا أصبح الدّرس اللّساني التّداولي نظريّة تعالج موضوعات مختلفة، كالإستلزام الحواري، والإشاريّات، والأفعال الكلاميّة، والحجاج...

وما يهمّنا في هذا السّياق هو الحجاج الذي يعدَّ من أهم النّظريات التي تهتم بها التّداوليّة من بين جميع النّظريات التي سبق ذكرها، فهو يرتكز أساسًا على دراسة الطّريقة والأسلوب الذين يستعملهما المتكلّم للتّغيير من معتقدات وآراء المتلقي، ومحاولة إقناعه بالموضوع المرغوب إيصاله إليه، حيث إنّه لا يمكن لأيّ مخاطب سواء كان ناثرًا أو شاعرًا، أو صحفيًا، أو خطيبًا سياسيًا، أن يستغني عن هذا الأسلوب، الذي يهدف إلى استمالة المتلقّي، وهذا الواقع لا يكمن فقط في المجال الأدبي، إنّما نطبّقه أيضا في حياتنا اليوميّة، التي تبنى على الأدلّة والحجج أثناء التواصل.

ونظرا لأهميّة الحجاج لاحظنا أنّه نال اهتمام كثير من العلماء ولا زال يحظى به إلى يومنا هذا فقد اتّخذه العديد من العلماء، والباحثين موضوعا لهم.

الحجاج له جذور عريقة أول ظهور له كان في البلاغة اليونانية عند سقراط وأفلاطون، ثم ظهر في دراسات معاصرة، ومن خلال أبحاث هذه الدّراسات والبعد الذي تناولته ظهر ما يعرف بالحجاج اللّغوي الذي سندرسه في بحثنا هذا، فهو أكثر نوع يساهم في العمليّة الحجاجيّة من بين الحجاج البلاغي والحجاج المنطقي، وهنا سنسلط الضَّوء على أحد أساليبه (الحجاج)، والذي يعرف بأسلوب

النّفي، فهو أكثر أسلوب يستخدمه المحاجج بغية إثبات رأيه، وإقناع المتلقّي والتّأثير فيه واستمالة عقله من خلال ما يعرضه في خطابه، وذلك عن طريق إثبات نقيض فكرة ما تم طرحها.

بعد تطرّقنا لموضوع الحجاج وأسلوب النّفي فيه، قرّرنا إنجاز مذكرة بعنوان "حجاجيّة النّفي في مقالات البشير الإبراهيمي (نماذج مختارة من عيون البصائر)".

وأكثر الأسباب حفّزتنا لدراسة هذا البحث أنّه:

- قلة الدّراسات المتعلّقة به، فأردنا أن نكون من بين الّذين أولوه اهتمامًا.

طبيعة الموضوع – أي الحجاج تتّسم بشيئ من العقليّة والبرهان مما يوافق ميولاتنا ورغباتنا، وعن اختيار محمد البشير الإبراهيمي ومقالاته، كذلك راجع لطبيعة خطابه الدّعوي الإصلاحي الّذي جاء في فترة تقتضي من صاحبها أن يكون خطابه حجاجيًّا لإقناع المتلقّي والتأثير فيه، سواء كان في سلوكه أو معتقداته، ولما لا في إنجازاته الفعلية ، وطبيعة هذا الخطاب تخدم موضوعنا بشكل كبير.

- وقد كانت عناوين المقالات التي طبقنا عليها كالآتي:
  - ثلاث كلمات صريحة.
  - أعراس الشَّيطان.
  - الصَّداق وهل له حد؟
  - ذكرى 08 ماي.
  - لجنة فرانس _ إسلام 1 _
  - موجة جديدة.
  - وفي فترة إنجازنا لهذا البحث سعينا للإجابة عن العديد من الإشكاليات أهمها:
    - ما هي أدوات النَّفي المستعملة حجاجيًا في مقالات عيون البصائر؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليَّة وغيرها من الأسئلة الفرعيَّة اعتمدنا المنهج الوصفي مدعما بالتحليل. فالوصف يظهر من خلال ضبط مفهوم كل من الحجاج والنَّفي وما يتعلق بهما من أنواع

وأدوات كما يتجلى الوصف أيضا من خلال توصيف العلاقة التي تربط الحجاج بالنَّفي، أمَّا التَّحليل استخدم في الجانب التَّطبيقي، حيث تطلَّبت الدراسة تحليل أدوات النَّفي في : "مقالات مختارة من مدونة عيون البصائر".

أمّا بالنسبة للدّراسات السابقة فلم نجد – في حدود ما اطّلعنا عليه – دراسة مستقلة تناولت حجاجيَّة النَّفي سوى دراستين ل :

_ ألطاف إسماعيل أحمد الشّامي ، العوامل الحجاجيّة في شعر البردوني (النَّفي أنموُذجا) وهي دراسة نشرة في مجلَّة كلّية العلوم إسلاميَّة العدد 43 ، 2015؛ حيث توصَّلت الباحثة إلى أنَّ عامل النَّفي قد أدَّى وظيفته الحجاجيّة و هي الإقناع .

وقد اعتمدنا في الجانب التَّطبيقي على أحد أهم المدوَّنات "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي" محاولين معرفة أبرز أدوات النَّفي الحجاجيَّة المستعملة في مقالاته.

فيما يخص المراجع المعتمدة فهي كثيرة أهمها:

مالك عوَّادي: الخطاب الحجاجي عند الإمام محمَّد الغزالي ، ومجلَّد آثار الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي، بالإضافة إلى كتب ومراجع أخرى كان لها دور كبير في فهم هذا الفرع من الدّراسة.

وقد اقتضت طبيعة الدّراسة أن نتَّبع خطة لإنجاز هذا البحث تضمَّنت فصلين ، تسبقهما مقدمة فاتحة للبحث وصورته التي توضّح أهدافه وغايته من البداية إلى النهاية، وتتلوهما خاتمة.

الفصل الأول: تطرَّقنا فيه إلى مبحثين :

المبحث الأوَّل : مفاهيم ومصطلحات، حيث قسَّمنا المبحث إلى ثلاثة أجزاء، الأوَّل خُصّص للحديث عن التَّعريف بصاحب المدوَّنة، نشأته، وتعليمه، وفاته، وأخيرا أهم مؤلفاته ، وفي الجزء الثَّاني تناولت الدّراسة تأسيس جمعية العلماء المسلمين ودورها الإصلاحي، كذلك تطرَّقنا إلى أعمالها ومواقفها، أما الجزء الثالث فتحدث عن الآليات الحجاجية.

المبحث الثَّاني: الحجاج والنَّفي تناولنا فيه مفهوم الحجاج لغةً واصطلاحًا، وماهية النَّفي في المعجم والإصطلاح، إضافةً إلى أنواعه وأدواته، ثم مزجنا بين الحجاج والنَّفي في عنصر واحد عنونَّاه بـ: حجاجيَّة أسلوب النَّفي.

- الفصل الثاني وزَّعناه إلى مبحثين:

- **المبحث الأول**: التَّعريف بالمدوَّنة شكلاً ومضمونًا.
- **المبحث الثَّاني**: حجاجية النَّفي في مدوَّنة عيون البصائر.

و قد درسنا فيه أدوات النَّفي الَّتي استخدمها الإبراهيمي لاستمالة المتلقي وإقناعه.

وفي الأخير ختمنا بحثنا بخاتمة، ضمَّناها أهم النتائج الَّتي توصَّل إليها البحث، أعقبناها بقائمة من المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الدّراسة وفهرسًا للموضوعات.

- خلال إنجازنا لهذا البحث واجهتنا العديد من الصُّعوبات أهمُّها:

- كثرة المراجع، مما أدَّى إلى صعوبة التَّنسيق بين المعلومات.
- اختلاف آراء النَّحويين حول أدوات النَّفي.

إلَّا أنَّه وبفضل الله ، وتوفيقه ، وتوجيه الأستاذ المشرف "كمال حملاوي" تم تيسير هذه الصُّعوبات وتجاوزها.

ختامًا لهذا التَّقديم نتوجه بالشُّكر الجزيل وعظيم الإمتنان إلى: الأُستاذ المشرف الدُّكتور "كمال حملاوي " عن اقتراحه لهذا الموضوع، ورعايته منذ أن كان فكرة إلى أن خرج إلى النُّور، كما نشكره جزيل الشُّكر على توجيهاته، وتوصياته الَّتي قوَّمت البحث وأخفت بعض عيوبه.

وفي الأخير نأمل أن يجد القرَّاء الكرام في البحث ما قد يشبع فضولهم المعرض، وأن يصوّبوا ما قد يروه غير صائب.

الفصل الأول

الفصل الأول

لمحة عن حياة المخاطب (الشيخ محمد البشير الإبراهيمي):

1- مولده ونشأته.

2- أهم مؤلفاته.

أولا: جمعية العلماء المسلمين: أعمالها ومواقفها:

1- تأسيس جمعية العلماء المسلمين.

2- أعمال جمعية العلماء ومواقفها.

ثانيا: الحجاج والنَّفي:

1- مفهوم الحجاج.

1.1. لغة

2.1. اصطلاحا

3.1. آليات الحجاج

2- مفهوم النَّفي.

1.2- لغة.

2.2- اصطلاحا.

3.2- أنواع النفي.

4.2- أدوات النفي.

ثالثا: حجاجية أسلوب النفي.

التَّعريف بصاحب المدوَّنة "محمَّد البشير الإبراهيمي":

1- مولده ونشأته:

يورد البشير الإبراهيمي مقالًا عن نشأته بعنوان "من أنا" يُعدُّ خلاصة تاريخ حياته العلميَّة والعمليَّة قائلًا: "أنا محمَّد بشير بن محمَّد السَّعدي بن عمر بن محمَّد السَّعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي" نسبةً إلى قبيلة تعرف بأولاد إبراهيم وهي إحدى قبائل سبع متجاورة في سُفوح الأطلس الأكبر الشَّمالية المتَّصلة بقمم جبال الأوراس من الجهة الغربيَّة، وكل ذلك واقع في مقاطعة قسنطينة من القطر الجزائري... ولد عند طلوع الشمس من يوم الخميس الرابع عشر من شوال عام 1306 هجرية الموافق لـ الثالث عشر جوان 1889 ميلادية سمعت ذلك من عمّي، وقرأته خطّ جدِّي الأدنى على ظهر كتاب من كتبه سجَّل فيه مواليد الأسرة ووفياتها".[1]

نشأ الإبراهيمي على ما نشأ عليه أبناء البيوتات العلميَّة الرّيفيَّة من طرائق الحياة وهي تقوم دائمًا على البساطة في المعيشة والطهارة في السلوك والمتانة في الأخلاق، والإعتدال في الصّحة البدنيَّة، وكلُّ ذلك لبعد أريافنا في ذلك العهد عن الحضارة الجبليَّة ومواقعها من المدن، فلمَّا بلغت التاسعة أصيبت رجلي اليسرى بمرض، وكان للإهمال والبعد عن التَّطبيب أثر كبير في إصابتي بعاهة العرج في رجلي(...) قام بتربيتي وتعليمي من يوم درجت عمّي شقيق والدي الأصغر الشيخ "محمد المكّي الإبراهيمي" (...) فريد عصره في إتقان علوم اللّسان العربي".[2]

توفي محمد البشير الإبراهيمي بعد رجوعه إلى الجزائر عن عمر ناهز (76 عامًا) ،كان ذلك يوم الخميس 18 من محرم (1385 ه الموافق لـ 19 ماي 1965 م) أثناء الإقامة الجبريَّة، قضى حياته في العلم والجهاد، ودعوة للعودة إلى رب العباد، شُيّع جُثمانه في مقبرة "سيدي أمحمد"، في جنازة مشهودة.

[1] محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد الطالب الإبراهيمي، دار العرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1997، ج 5، ص 163-164.

[2] المصدر نفسه، ص 164.

يقول البشير الإبراهيمي في 16 أفريل 1964 م: "كتب الله أن أعيش حتى استقلال الجزائر ويومئذ كنت أستطيع أن أواجه المنيَّة مرتاح الضَّمير، إذ تراءى لي أنَّني سلَّمت مشعل الجهاد في سبيل الدّفاع عن الإسلام الحق، والنُّهوض باللُّغة العربيَّة ذلك الجهاد الَّذي كنت أعيش من أجله".[1]

2- أهم مؤلفات محمد البشير الإبراهيمي:

- **عيون البصائر**: وهي مقالات كتبها الإبراهيمي بقلمه في جريدة البصائر في سلسلتها الثانية.
- بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر.
- كتاب أسرار الضمائر في العربية.
- كتاب التسمية بالمصدر.
- كتاب نظام العربية في موازين كلماتها.
- كتاب الإطّراد والشُّذوذ في العربيَّة: (رسالة في الفرق بين لفظ المطَّرد والكثير عند إبن مالك).
- رسالة في ترجيح أنَّ الأصل في بناء الكلمات العربيَّة ثلاثة أحرف واثنان.
- كتاب حكمة مشروعيَّة الزَّكاة في الإسلام.
- كتاب شعب الإيمان.
- كتاب الصّفات التي جاءت على وزن فعل بفتح العين.
- كتاب النّفايات والنّفايات في لغة العرب.
- كتاب ما أخلّت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة.
- رواية كاهنة الأوراس بأسلوب مبتكر يجمع بين الحقيقة والخيال.

يذكر الإبراهيمي أنّ هناك محاضرات وأبحاث كتبها تلامذته أثناء إلقائه للدروس كما يذكر أنّ هناك فتاوي متناثرة.[2]

[1] ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، تقديم أبو القاسم سعد الله، دار الأمة للطباعة والنشر، (د.ط) الأبيار- الجزائر، 2007، ص 263.

[2] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر ص 289.

أولا: جمعية العلماء المسلمين: أعمالها ومواقفها:

1- تأسيسها:

لقد كان تأسيس "جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريين في سنة 1931 وكانت عوامل تكوينها طبيعيَّة بسيطة عن قصد لئلاّ تثير من الاهتمام ما يدعو إلى مقاومتها قبل أن تستوي على سوقها، فتكون الضربة القاضية عليها، ولو قضي عليها، إذ ذاك لما استطعنا تجديدها في عشرات السنين، وعشنا في ظل تلك البساطة سنة ثبّتنا فيها قواعد العمل، واتّصلنا بطبقات الأمة ووثّقنا فيها العلائق بها ..."[1] كما يذكر الإبراهيمي بعض من أعماله الجليلة في جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريين يقول: "من يوم تكوَّنت هذه الجمعيَّة فلم أزل وكيلها من يومئذ نائبًا عن الرَّئيس الإمام عبد الحميد بن باديس (...) وما زلت متشرفًا بهذه الرّئاسة إلى الآن، وكان من أعمالي بعد خروجي من الإعتقال ثلاث سنوات أن أسَّست في سنة وبعض السَّنة نحو سبعين مدرسة عربيَّة حرَّة متفرّقة في جهات القطر بمال الأمَّة، وقد وصل عدد المدارس الإبتدائية الحرَّة التي أسَّستها الجمعيَّة بسعيي وإشرافي وبمال الأُمة الخالص نحو مائة وخمسين مدرسة... وتحتوي هذه المدارس على نحو: أربع مائة معلّم"[2]

2- أعمال جمعية العلماء ومواقفها:

- إنّ لجمعيَّة العلماء المسلمين مواقف وأعمال في الميدان الدّيني، ومرجعها الوحيد هو: كتاب الله وصحيح السُّنة النَّبويَّة.

- لها أعمال في ميدان التَّعليم العربي، لا يعتريها الفتور ولا النّكوص. [3]

إنّ حركة الإصلاح في الجزائر بدأت عام 1343 هـ 1925 م ومولد الجمعيَّة كان في أفريل 1931، عقدت الجمعيَّة جلستها التَّمهيديَّة يوم الثُّلاثاء السَّابع عشر من ذي الحجَّة (1349 هـ - 1931 م) السَّاعة الثَّامنة صباحًا.

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي: "آثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج 5، ص 167.

[2] المرجع نفسه ص 167-168.

[3] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1997، ج 3، ص 54.

وقد أقرَّت القانون الأساسي ومناقشته وإقراره خلال جلسة لا تزيد على ثلاث ساعات وقد أوضح ذلك الإبراهيمي بقوله: "وممَّا يعدُّ ضمن أهداف الجمعيَّة الأساسيَّة، المحافظة على الشَّخصية الجزائرية الإسلاميّة العربيَّة بالرُّغم من أنَّ القانون الأساسي لم ينصَّ عليه صراحةً، بل إنّ الحَّركة الإصلاحيَّة عملت على تحقيق ذلك منذ نشأتها، ويكفي دليلًا على ذلك المقالات الكثيرة الدَّاعية إلى المحافظة على الذَّاتيَّة الجزائريَّة بالإضافة إلى المدارس الَّتي كانت تعلّم تلاميذها من أوَّل يوم شعار العلماء المعروف " الإسلام ديني والعربيَّة لغتي والجزائر وطني"[1].

[1] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 94.

تمهيد:

إنّ الإختلاف بين البشر في قدراتهم الذّهنيّة والمعرفيّة والعلميَّة ، وكذا في مستوياتهم الإجتماعيَّة والسياسيَّة، وما إلى ذلك من هذه الإختلافات، ولَّد بالضرورة تناقضات بين أفكارهم وتضاربات في آرائهم، ولما كانت الطَّبيعة الإنسانيَّة طبيعة كلاميَّة تخاطبيَّة، اقتضت وجود علاقات تواصليَّة بين الإنسان وباقي جنسه، فهو يتواصل كي يقنع في ظلّ جوّ يسوده الصّراع الفكري والإيديولوجي في شتَّى الميادين، ومن هنا بزغ مصطلح الحجاج ومصطلحات أخرى في الحقل نفسه كالتَّحاج والتَّحاجج، والإحتجاج والبرهنة والإستدلال... الخ.

ومصطلح الحجاج لم يكن حديثًا ولا وليد هذا العصر، بل هو مصطلح عريق تاريخيًّا، ظهر منذ القدم وتعدَّدت مفاهيمه ومعانيه المعجميَّة والإصطلاحيَّة، كما تعدَّدت آليَّاته وضوابطه وخصائصه.

ثانيا: الحجاج والنَّفي:

1- تحديد مفهوم الحجاج:

1.1- **لغة:** لمعرفة الأصول الأولى لمادة (ح.ج.ج) يجدر بنا أن نبحث في بطون أمَّهات الكتب، والمعاجم اللُّغويَّة التي أطنبت، وأسهبت في هذا الجذر الثُّلاثي، لكي يتسنَّى لنا ضبط دلالته.

ورد عن "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت 170 ه): "حَجَجَ: قد تكسر الحجَّةُ والحَجُّ فيقال: حِجٌّ وحِجَّةٌ (...) وحَجَّ علينا فلان أي قَدِمَ.

والحَجَّ: كثرة القصد إلى من يُعظَّم (...) والحَجْحَجَةُ: النُكوص (...) والمَحَجَّةُ: قارعة الطَّريق الواضح، والحُجَّةُ: وجه الظَّفر عند الخصومة[1]"

ونجد "ابن فارس" (ت 395 ه) يحصرها في أربعة معاني كبرى، وذلك في قوله: "الحاءُ والجِيمُ أصُولٌ أربعة: فالأول القصد وكلُّ قصدٍ حجٌّ (...) ومن الباب المَحَجَّة، وهي جادَّة الطريق (...) ممكن أن يكون الحُجَّة مشتقَّةٌ من هذا؛ لأنها تقصد الحقُّ المطلوب.

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170 ه)، كتاب العين، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط1، (1424 ه - 2003 م)، مادة (ح.ج.ج)، ج 1، ص 286-287.

والأصل الآخر: الحجَّة وهي السّنة، ويمكن أن يجمع هذا الأصل الأوَّل؛ لأنّ الحجَّ لا يكون إلَّا مرّةً واحدةً، فكأنَّ العام سُمّيَ لما فيه من الحجِّ حجَّة.

الأصل الثالث: الحِجاج، وهو العظم المستدير حول العين، يقال للعظيم الحجاج احجُّ وجمع الحجاج أحجَّة.

والأصل الرابع: الحجحجة النُّكوص، يُقال: حَمَلُوا علينا ثُمَّ حجحج والمحجحج: العاجز"[1]

وجاء في لسان العرب لابن منظور: «الحجج القصد، حجَّ إلينا فلان أي قدِم، وحَجَّه يحجُّه حجًا: قصده، رجل محجوج أي مقصود، وقد حجّ بنو فلان فلانًا، إذا أطالوا الاختلاف إليه»[2]، ويقول في موضوع آخر: «الحجَّة: البرهان، وقيل الحجَّة ما دوفع به الخصم (...) والحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة (...) والتحاج وجمع الحجة حجج، وحاجة، ومحاجَة، وحجاجًا، نازعه الحجة (...) والحجة الدليل والبرهان وهو رجل محاجج أي مجادل»[3]

فعلى هذا يكون الحجاج النزاع والخصام بواسطة الأدلَّة والبراهين والحجج فيكون مرادفًا للجدل بين معنيي اللفظين المخاصمة والمنازعة.

2.1- **اصطلاحا**: * الحجاج كمصطلح تتجاذبه علوم كثيرة منها "الفلسفة، والمنطق، والقضاء، وعلوم الإتّصال ... الخ"، ولكل منها تعريفه الخاص، مما يصعب على الدارسين القبض على دلالته الاصطلاحية وهذا ما صرَّح به الحبيب أعراب في مقاله الموسوم بـ: الحجاج والإستدلال الحجاجي: (عناصر استقصاء نظري): "يعتبر مفهوم الحجاج (المحاجَّة) من المفاهيم المثيرة للإلتباس بالنسبة للباحث عن ضبطه وتحقيقه، ويعود ذلك إلى عدَّة عوامل أهمَّها:

---

[1] ابن فارس (ت 395 ه) معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطائف – المملكة العربية السعودية، (د/ط)، (1399ه/1979م)، ج 2، مادة (ح، ج، ج)، ص 29-31.

[2] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم/ لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1، 1990م، ص مادة (ح ج ج)، ص 326.

[3] المرجع نفسه ص 328.

* ارتبط الحجاج عبر مساره التاريخي المصطلحات طالما اعتبرت مرادفات له، نذكر أهمها: الجدل، والبرهان، والاستدلال، والخطابة، والحوار، المناظرة...

أ/ تعدُّد مظاهر الحجاج وتنوعها (الحجاج الصريح، الحجاج الضّمني).

ب/ تعدّد استعمال الحجاج وتباين مرجعياته: الخطابة، الخطاب، الفلسفة، التعليم... الخ.

ج/ خضوع الحجاج في دلالته لما يميّز ألفاظ اللغة الطبيعية من رخوة وليونة تداوليَّة، وكذلك من تأويلات متجدّدة، وطواعيَّة استعماليَّة.[1]

ويقرر عبد الله صولة: "تشعب مجالات الحجاج في قوله: «إذ أنَّنا نجد بعضهم يرى أن الحجاج في الدّراسات الحجاجية على ضربين: ضرب أنت فيه لا تبرح حدود المنطق فهو ضيق المجال ومرادف للبرهنة، والإستدلال. إذ هو يعنى بتتبع الجانب الإستدلالي في المحاجّة ، وضرب واسع المجال لإنعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التّقنيات البيانيّة الباعثة على إذعان السماع أو القارئ».[2]

– ومن التعريفات الاصطلاحية للحجاج ما جاء في "موسوعة لالاند الفلسفيّة": طريقة عرض الحجج وترتيبها، أو هو سرد حجج تنزع كلها إلى الخلاصة ذاتها"[3].

– وعرّفه المعجم الفلسفي بأنه: "جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله ، أو هو طريقة تقديم الحجج والإستفادة منها"[4].

نستخلص من هذين التعريفين أنَّ الحجاج من النَّاحية الفلسفيَّة:

أ/ سلسلة من الحجج المقدّمة لدعم أطروحة أو دحضها.

ب/ طريقة لعرض الحجج المؤدّية إلى إحداث الإقناع والتَّأثير في المتلقي.

---

[1] الحبيب أعراب، الحجاج والإستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري ضمن كتاب:" الحجاج مفهومه، ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة، إشراف: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، ط1 2010م، ج2، ص622.

[2] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت–لبنان، ط1، 2001م، ص08.

[3] أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفيّة، تعريب خليل أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001م، مج 1، ص96.

[4] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان ،1982م، ج1، ص 446.

3.1/ آليات الحجاج:

يعتمد المحاجج في إقناع المخاطب على مجموعة من التقنيات والآليات الحجاجيّة ولعل أهمها ما يلي:

1- الآليات اللغوية:

تتنوع الآليات اللغوية التي تؤدي وظيفة حجاجية، نذكر منها:

أ-ألفاظ التحليل: "تُعد ألفاظ التحليل من الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي، وبناء حججه فيه، ومنها: المفعول لأجله، وكلمة السبب، ولأن إذ لا يستعمل المرسل أيّ أداة من هذه الأدوات، إلا تبريرا أو تعليلا لفعله، بناء على سؤال ملفوظ له أو مفترض" [1]

ومنه نخلص إلى أن ألفاظ التحليل تعتبر روابط لغوية يستعملها المحاجج بغرض التبرير عن حجته التي يريد الإقناع بها.

ب-الأفعال اللغوية: "تؤدي الأفعال اللغوية دورا حجاجيا، وهذا نظرا لما تحدثه من أثر في سلوك المتلقي والمقصود بالأفعال اللغوية جملة الأقوال التي تصدر عن المخاطب ويترتب عنها فعل أو يفترض فيها ذلك على الأقل"[2]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004م، ص456.

[2] نوّاري سعودي أبو زيد، ممارسات في النقد واللسانيات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012م، ص143.

-ويرى "فان إيمرن" (van Emern) وجروتندروست Grootendrost: "أن الأفعال اللغوية تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج، إذ يضطلع كل منها بدور محدد في الحجاجيين طرفي الخطاب (....) ولهذا فقد تتبعا دور كل صنف من الأفعال اللغوية التي صنفها سيرل، إذ وجد أنّ بعضها ذو دور حجاجي، أمّا البعض الآخر فليس له ذلك الدور"[1]

فالأفعال الإلزامية تستعمل للتعبير عن قبيول وجهة نظر أو رغبة في الحجاج من عدمه وفي تدعيم موقف المرسل الذي اتخذه لقبول التحدي والدفاع عن موقفه، وتستعمل كذلك للتعبير عن موقفه على مناصرة الدعوى أو معاداتها، واتخاذ القرار ببدء النقاش مع الموافقة على ضوابطه[2]

أما الأفعال التوجيهية فلا يستعمل المرسل جميع أصنافها، وذلك لطبيعتها التي لا تناسب ما تقتضيه طبيعة النقاش (....) ولذلك يقتصر استعمال المرسل على البعض منها، مثل: التحدي للدفاع عن وجهة النظر، أو طلب الحجاج[3]

وهذا يعني أن الأفعال اللغوية ليست كلها حجاجية، إنما الحجاجي منها ما يقبل الدحض والاعتراض.

---

[1] ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تحليلية، ص481.

[2] المرجع نفسه، ص482.

[3] المرجع نفسه، ص482.

ج–الحجاج بالتبادل: وهو من الآليات التي تستخدم في الحجاج إذ يحاول المخاطب بهذه الآلية البلاغية أن يصف الحال نفسه لوضعين في سياقين متقابلين وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات، ويمكن أن تكون نقلا لوجهة النظر بين المخاطِب والمخاطَب[1]

و ذلك مثل الخطاب التالي :

– ما يأتي بسهولة يذهب بسهولة.

– و ما يهم هنا هو إقناع المرسل بتطبيق قاعدة العدل [2]

1–الوصف: ينهض الوصف بدور حجاجي، إذ يعبر عن وجهة نظر المخاطب ويشمل الوصف عددا من الأدوات اللغويّة منها: الصفة، واسم الفاعل، وتحصيل الحاصل [3]

وهاته الأدوات تعتبر حججا موجهة لاقناع المتلقي بنتيجة معيّنة.

2–الآليات البلاغيّة:

تعتبر آلية من آليات الخطاب المشكلة له فهي فن القول الذي يعدّل موقف المستمع من أجل استمالته

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته ضمن كتاب "الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة"، ج1، ص87.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، ص486.

[3] المرجع نفسه، ص486.

فغايتها الإفهام والاقناع [1]

لذا يمكن عدّ الوسائل البلاغيّة رافدا مهما في العملية الحجاجيّة لا غنى له عنها "فلا فضل في حجاج منطقي صارم يفتقر إلى جمال ويدعّم فعله في النفوس" [2]، ومن بين الأساليب البلاغيّة التّي يتخذها المتكلم من أجل البلوغ إلى أهداف حجاجيّة: تقسيم الكل إلى أجزاء، والاستعارة، والتمثيل، والبديع... ومنه فكل هاته الأدوار لها دور فعّال في عملية إذعان المتلقي والتأثير فيه.

2-الآليات شبه المنطقية:

وهي وإن كانت من طبيعة لغويّة، إلاّ أنّها تمثيل للبنى العقلية وطريقة استعراض المنطق للقضايا التّي يتم التواصل بشأنها وأبرز ما يمثله السلم الحجاجي بما يندرج تحته، كالروابط الحجاجيّ، ودرجات التوكيد التي تعكس موقف المخاطب من المضمون القضوي وغيرها من الآليات [3]

3-1-السلم الحجاجي تعريفه وقوانينه:

تتجلى العلاقة المجازيّة بين الدعوى والحجّة لتصبح علاقة شبه منطقية إلى حدّ ما، وذلك بالرّغم من أنّها تتجسد، بطبيعة الحال، من خلال الأدوات اللّغوية، فيتصل صلب فعل الحجاج في تدافع الحجج وترتبها حسب قوتها إذ لا يثبت غالبا إلاّ بالحجّة التي تفرض ذاتها على أنّها أقوى

---

[1] ينظر، حكيمة بوشلالق، الحجاج وآليات الإقناع في الخطاب الإبراهيمي، خطبة الإصلاح لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي أنموذجا ضمن كتاب "الحجاج والهرموينوطيقا في الخطاب أنطولوجيا الهوية والرسالة، تقديم أبو بكر العزاوي وآخرون، عالم الأدب الحديث، إربد، ط1، 2020م، ص512.

[2] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، ط2، 2011م، ص114.

[3] ينظر، نواري سعودي أبو زيد، ممارسات في النقد واللسانيات، ص132.

الحجج في السياق، ولذلك يرتب المرسل الحجج التي يرى أنّها تتمتع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه [1]

وهذا الترتيب هو ما يسمى بالسلم الحجاجي الذي "يعدُّ من أكثر المفاهيم دورانا في تحليل الخطاب الحجاجي" [2] عرّفه "ديكرو" بأنّه: علاقة ترتيبية للحجج والتي يمكن أن نرمز لها كالتالي:

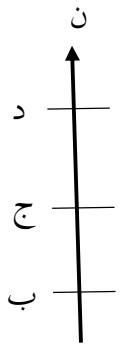

ن: النتيجة.

(ب) و(ج) و(د): حجج وأدلّة تخدم النتيجة(ن) [3]

ويزيد "طه عبد الرحمان" في توضيحه أكثر عن طريق ذكر شرطيه بقوله "هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوّدة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين" [4]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص499.

[2] محمد عديل عبد العزيز علي، التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي "كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري (ت. 577) نموذجا، دار البصائر، القاهرة، ط1، 2011م، ص223.

[3] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2006م، ص16.

[4] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص277.

أ–كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب–كل قول في السلّم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه يتبيّن ذلك في الرسم الآتي:

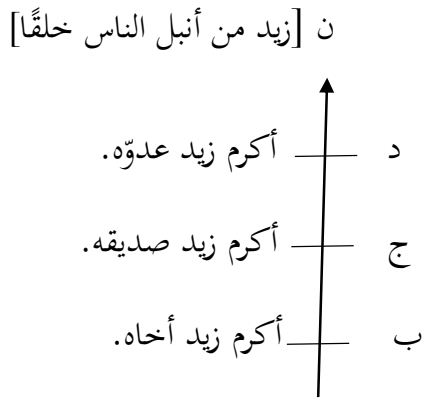

حيث (ب) و(ج) و(د) ترمز إلى الأدلّة و(ن) إلى المدلول منها، فحينئذ القول (د) يلزم عنه القول (ج) الذي ينجم عنه بدوره القول (ب)، كما أن (د) هو أقوى اثباتا للمدلول (ن) من (ج) الذي هو بدوره أقوى اثباتا لهذا المدلول من (ب) [1]

وأهم قوانين هذا السلّم ثلاثة:

[1] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص277.

3-1-1 قانون الخفض:

ومقتضاه "القول إذا صدق في مراتب معيّنة من السلّم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها" [1]

ويوضح قانون الخفض الفكرة التي ترى أنّ النّفي اللّغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة: (moins que) فعندما نستعمل جملا من قبيل:

-الجو ليس باردا.

- لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أنّ البرد قارس وشديد (المثال الأوّل)، أو أنّ الأصدقاء كلّهم حضروا إلى الحفل (المثال الثاني)، وسيؤول القول الأول على الشكل التالي:

-إذا لم يكن الجو باردا، فهو دافئ أو حار.

وسيؤول القول الثاني كما يلي:

- لم يحظر إلاّ القليل منهم إلى الحفل [2]

3-2-1-قانون النفي:

[1] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص105، 106.

[2] ينظر، أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص24.

ويسمى هذا القانون "بتبديل السلّم" [1]، مقتضاه "إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله" [2]، وبعبارة أخرى فإذا كان (أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجيّة المحددة بواسطة (ن) فإن (-أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة (لا-ن) و يمكن أن نمثل لهذا بالمثالين التاليين:

-زيد مجتهد ،لقد نجح في الامتحان.

-زيد ليس مجتهدا، إنه لم ينجح في الامتحان.

فان قلبنا الحجاج الوارد في المثال الأوّل، وجب أن نقلب كذلك الحجاج الوارد في المثال الثاني [3]

3-1-3-القانون القلب:

مقتضى هذا القانون أنّه "إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التحليل على مدلول معين، فانّ نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التحليل على نقيض المدلول" [4]

[1] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص278.
[2] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص106.
[3] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص22.
[4] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص278.

وبعبارة أخرى إذا كان (أ) أقوى من (أ) بالقياس إلى النتيجة (ن) فإن (~أ) أقوى من (~أ) بالقياس إلى (لا – ن)، ويمكن التعبير عن هذه الفكرة بصيغة أخرى فنقول: إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التحليل على الحجة المضادة [1]

ولنوضح هذا بالمثالين التاليين:

- حصل زيد على الماجستير، وحتى على الدكتوراه.
- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليلا على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير في حين أن عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه [2]

ويرتبط بمفهوم السلّم الحجاجي مفهوم آخر هو: مفهوم "الوجهة أو الاتجاه الحجاجي (l'orientation argumentative) [3]، ويعني هذا المفهوم إسناد اتجاه معين لقول ما بغاية بلوغ نتائج محددة [4]، وإذا كان قول ما يمكن من إنشاء فعل حجاجي، فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحا أو مضمرا، فإذا كان القول أو الخطاب معلما، أي مشتملا على بعض الروابط والعوامل الحجاجية، فإن هذه الأدوات

---

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص22.

[2] المرجع نفسه، ص23.

[3] المرجع نفسه، ص23.

[4] عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت-لبنان، ط1، 2013م، ص99.

تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب، أما في حالة كون القول غير معلم فإن التعليمات المحددة للاتجاه الحجاجي تستنتج إذ ذاك من الألفاظ والمفردات بالاضافة إلى السياق التداولي العام [1]

3-2-وسائل السلّم الحجاجي اللغوية: يتحقق الحجاج بالسلّم الحجاجي باستعمال أدوات لغوية وآليات شبه منطقية كالتالي: [2]

- الأدوات اللغوية، كالروابط الحجاجية مثل (بل، لكن، حتى، فضلا عن) السمات الدلالية ودرجات التوكيد.
- الصيغ الصرفية (أفعال التفضيل، صيغ المبالغة).
- (المفهوم، الموافقة، المخالفة).
- حجة الدليل.

3-2-1-الأدوات اللغوية:

3-2-1-1-الروابط والعوامل الحجاجية:

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص25.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، ص: 507، 508.

ينبغي أن نميز بين الصنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، فالروابط تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو الأكثر)، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة [1]

وقد ميز "أبو بكر العزاوي" بين أنماط عديدة من الروابط منها: [2]

أ–الروابط المدرجة للحجج: (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن...).

والروابط المدرجة للنتائج: (إذا، لهذا، وبالتالي...).

ب–الروابط التي تدرج حججا قوية: (حتى، بل، لكن، لا سيما...).

والروابط التي تدرج حججا ضعيفة.

ج–روابط التعارض الحجاجي: (بل، لكن، مع ذلك...).

وروابط التساوق الحجاجي: (حتى، لا سيما...).

أما العوامل الحجاجية، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الامكانات الحجاجية التي تكون لقول ما [3]

---

[1] أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي ضمن كتاب "التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمّو النقّاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، (2006م)، ص64.

[2] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص30.

[3] المرجع نفسه، ص25.

فالعوامل الحجاجية عبارة عن مورفيمات إذا دخلت في الخطاب أسهمت في تقليص الامكانات الحجاجية للكلام، وزادت في طاقته الحجاجية في التوجه نحو نتيجة حجاجية ما، ووظيفتها تقتصر على شحن الكلام ليؤدي وظيفة حجاجية تتلاءم مع مقاصد المحاجج، وفي الوقت نفسه تساعد المتلقي لتحديد دلالة المراد من الكلام (...) وتظم العوامل الحجاجية في اللغة العربية أدوات: (النفي، وأدوات القصر، ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، منذ الظرفية، على الأقل...) [1]

مفهوم النفي:

1.2 لغة:

نستعرض معنى كلمه "**نفى**" في المعاجم العربيَّة، بدءً بلسان العرب "**لابن منظور**" حيث قال: «نفى الشّيء بنفي نفيًا، تنحّى ونفيته عنها: طردته فانتفى، وتنافت الآراء والأحكام تعارضت وتباينت»[2].

فجاءت –هنا – بمعنى الطَّرد، وقد جاء في معجم الوسيط "نفاه جحده وتبرَّأ منه، ونفاه أخبره أنَّه لم يقع، وانتفى شعره "تساقط"، وانتفى الشجر من الوادي "انقطع" وانعدم"[3] و النَّفي لغةً يدور

[1] ينظر، عايد جدّوع حنّون، الحجاج في كلام الإمام الحسين عليه السلام، أطروحة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، إشراف: حامد ناصر الظالمي، مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، 2013، ص75.

[2] جمال الدين ابن منظور ابن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت–لبنان، (د.ط)، (د.ت) مادة نفى، ج 6، ص 236.

[3] مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، دار المعارف المصرية، ط 2، 1972 م، ج 2، ص 943.

حول معنى الابتعاد ، والطَّرد ، والإخراج ، والطرح، وهو نقيض الجمع والضَّم والإحاطة"[1]، كما نجد الرَّازي يقول: «نفاه أي طرده، وبابه رمى يقال نفاهُ (فانتفى) و (نفى) أيضا يتعدَّى ويلزم»[2].

جاء أيضًا هذا اللَّفظ في القرآن الكريم بمعنى "الطَّرد والإبعاد" في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

وباستقصاء بسيط لدلالة كلمة "نفى" في المعاجم العربية نجدها كلها تصب في باب واحد وهو "الطَّرد والإخراج والطَّرح والإبعاد."

2.2 اصطلاحا:

من خلال البحث في الكتب النَّحوية القديمة نلاحظ أنَّهم: لم يتعرَّضوا لتعريف النّفي تعريفًا اصطلاحيًا كثيرًا، لأنه لا يوجد في مصنَّفاتهم باب اسمه أو يعرف بـ "النَّفي".[4]

يعود مصطلح النّفي للاستعمال بمعنى الجَحْدُ والتُّرْكُ، ويستخدم بعض النحَّاة مصطلح "الجَحْدُ" بدلًا من مصطلح النَّفي، والجحد عندهم ما انجزم بلم لنفي الماضي وهو الإخبار عن ترك الفعل في الماضي[5].

---

[1] جمال محمد النحال، أساليب النفي والتوكيد في شعر رثاء شهداء انتفاضة الاقصى –دراسة وصفية تحليلية–، اشراف: محمود محمد العامودي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، قسم اللغة العربية، النحو والصرف، 1428-2007، ص 02.

[2] محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصّحاح وتطبيق وتخريج: مصطفى ديب البنا، دار الهدى للطباعة للنشر والتوزيع، عين مليلة–الجزائر، ط 4، 1990، مادة ن ف ى، ص 425.

[3] المائدة الآية 33.

[4] توفيق جمعات، النَّفي في النّحو العربي منحى وظيفي وتعليمي القرآن الكريم عينة – مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص 1.

[5] على بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية. ط 2: بيروت–لبنان، 2003م–1424هـ، ص 108.

أمَّا "المخزومي" فيعرّفه بقوله: "أسلوب نقض وإنكار، يستخدم لدفع ما يتردّد في ذهن المخاطب"[1].

وقد أورد "ابن يعيش "كذلك تعريفًا للنَّفي حيث قال: "اعلم أن النَّفي إنَّما يكون على حسب الإيجاب لأنه إكذابٌ له، فينبغي أن يكون وفق لفظه لا فرق بينهما، إلَّا أنَّ أحدهما نفي والآخر إيجاب".[2]

كما فرَّق "الشَّجري " المصطلحين بقوله: «قد يكون النَّفي جحدًا، فإذا كان النَّافي صادقًا فيما قال سمّي كلامه نفيًا وإن كان يعلم أنه كاذب فيما نفاه سمّي ذلك النَّفي جحدًا فالنَّفي إذن أعم من الجحد وأكثر استخدامًا»[3].

كذلك عرف التهانوي النَّفي بقوله: "... هو أقسام الخبر مقابل الإثبات والإيجاب، قيل: بل هو شطر الكلام كلّه".[4]

3.2 أنواع النَّفي:

ينقسم النّفي حسب النحَّاة والبلاغيين إلى نوعين هما صريح وضمني.

أ/ **النَّفي الصريح**: وهو النَّفي الإصطلاحي عند النحَّاة ويكون بألفاظ معروفة مثل: ليس، ولا وما... الخ.[5]

---

[1] مهدي المخزومي، في النحو العربي- نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط 2، 1986 م، ص 246.

[2] ابن يعيش (موفق الدين ابو البقاء يعيش بن على): شرح المفصل للزَّمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2001 م، ج 5، ص 31.

[3] بدر الدين محمد إبن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ج 2، ص 376.

[4] التهانوي محمد على، كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، تح: على دحروج، مكتبه لبنان ناشرون: ط 1 - ج 2، 1996، ص 17-22.

[5] ينظر: ثروت السيد عبد العاطي رحيم، ظاهرة النفي في الحديث الشريف من التوصيف والتنظير (دراسة نحوية في صحيح البخاري)، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الرحمن السيد أمين على السيد، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم قسم النحو والصرف والعروض، ص 16.

يقول "سيبويه" في باب "نفي الفعل": «إذا قال: فَعَلَ فَإِنَّ نَفيهُ لم يَفْعَل، وإذا قال: قد فَعَلَ فإنَّ نفيه لمَّا يفعل وإذا قال: لقد فَعَلَ فإن نفيه ما فعل لأنه قال: والله لقد فعل فقال: والله ما فعل وإذا قال هو يَفْعَلُ، أي هو في حال الفعل، فإنَّ نفيه ما يفعل، وإذا قال هو يفعل ولم يكن الفعل واقعًا فنفيه لا يفعل، وإذا قال ليفعلنَّ فنفيه لا يفعل كأنه قال: والله ليفعلن فقلت والله لا يفعل إذا قال: سوف يَفْعل فإنَّ نفيه لن يفعل[1].

وهذا يعني أنَّ: (لم ولما) لنفي الماضي، و(ما ولا) لنفي الحال، و(لن) لنفي المستقبل، فالنَّفي في الكلام العربي المفيد، يكون للفعل الماضي، وللمضارع في زمنيه: الحاضر، والمستقبل وللجملة الإسمية والجملة الفعلية[2].

- نفي الفعل المضارع في الماضي، يكون بـ: لم، لما.
- نفي الفعل الماضي، يكون بـ: ما، لا.
- نفي الفعل المضارع في الحاضر يكون بـ: ما.
- نفي الفعل المضارع في المستقبل يكون بـ: لا، لن.
- نفي الجملة الإسمية يكون بـ: ليس، إنَّ، ما، لا النَّافية.[3]

ب/ النَّفي الضّمني: النّفي الضّمني أو ما يعرف بشبه النّفي[4]، وهو الذي يُستكشف من قرائن صوتية: كالتَّنغيم والنَّبر، أو كتابية كعلامات الترقيم، أو سياقية كالإستفهام الإنكاري، أو إجتماعية خاصةً: التراكيب المستخدمة في مواقف الحياة، ويشمل النَّفي الضّمني الأساليب اللُّغوية الآتية:

---

[1] سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 1، (د/ت)، ج 3، ص 117.

[2] ينظر: سليمان فياض، النحو العصري، دليل مبسط لقواعد اللغة العربية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط 1، 1995، ص 16.

[3] ينظر: سليمان فياض، النحو العصري، ص 16.

[4] ثروت السيد عبد العاطي رحيم، ظاهرة النفي في الحديث الشريف في التوصيف والتنظير (دراسة نحوية في صحيح البخاري) ص 16.

الإضراب والإستدراك، والرّدع، والقصر، والتَّمني، والإستبعاد، والإستفهام الإنكاري، والإمتناع، وتوكيد النفي[1].

يعتبر إبراهيم أنيس "النَّفي الضّمني" نفيًا غير لغوي على أساس أنَّ النّفي اللُّغوي لا يكون عادة إلّا بأداة تشعر بهذا النَّفي، فإذا خلا الكلام من أداة النَّفي، وعبَّر مع هذا عن النَّفي، عُدّ مثل هذا نفيًا ضمنيًا، يطمئن إليه المنطقي، ويعد من طرق النَّفي ولكن اللُّغوي يرفض اعتباره من أساليب النّفي[2].

4.2 أدوات النّفي:

تعددت أدوات النَّفي –شأنه في ذلك كل ما يتعدّد في اللغة – ليس عبثًا، لأنه لو كانت هذه الأدوات جميعها متساوية في كل شيء لكان تعدّدها إذًا عبثًا، ولكنها تتعدد ولكل منها معنى يخصه وينفرد به وإذا اشتركت إحداها مع الأخرى في وجه خالفتها في وجه آخر من وجوه معناها واستعمالاتها[3].

وأدوات النفي هي: فعل وستّة أحرف، الفعل هو: ليس، أمّا الأحرف فهي: ما، لا، لات، إنّ، لن، لم، لما[4].

وتقسّم الأدوات النَّافية بالنظر إلى تركيبها أو إفرادها إلى:

أ/ أدوات نافية مفردة: مثل: لا، ما، إنّ، هل.

ب/ أدوات نافية مركبة مثل: لم، لما، لن، ليس، لات.

---

[1] ينظر: خولة درويش الشرعة، النّفي الضمني في اللغة العربية، رسالة ماجستير، إشراف: حسن خميس الملخ، جامعة آل البيت، الأردن، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، اللغة العربية (2016– 2017)، ص:15.

[2] إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص 178.

[3] ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب، ط 1، القاهرة، 2003 م، ج 1، ص 322.

[4] ينظر: محمد أمين ضناوي، المعجم الميسر في القواعد والبلاغة والانشاء والعروض، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1999 م، ج 1، ص 72.

ومنهم من قسمها حسب الزمن، ومن هذا قال "الأندلسي": «حروف النّفي ستة إثنان لنفي الماضي وهما لم ولما، وإثنان لنفي الحال وهما ما وإن وإثنان لنفي المستقبل هما لا ولن»[1]

وبالنَّظر إلى نوع الجملة الداخلة عليها قسمت أدوات النَّفي إلى الأنواع الآتية:

أ/ الأدوات المختصة بالجملة الفعلية: لم، لما، لو، لوما، لولا، لا، أن.

ب/ الأدوات المختصَّة بالجملة الإسمية: (لا) النَّافية للجنس، ليس، (لا) العاملة عمل ليس، لات، ما، إن.

ت/ الأدوات المشتركة: وهي (لا) المهملة، كلَّا، بل، لكن، أم، أو.[2]

ثالثا: حجاجيَّة أسلوب النَّفي:

يعتبر النَّفي عاملًا حجاجيًا يحقق به البَّاث وظيفة اللُّغة الحجاجيّة المتمثلة في إذعان المستقبل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ الى النتيجة "ن"، ولقد حصرت العربية في لغتها حروفا خاصة للنَّفي (لا، ولن، ولم، وليس، وما) والتي تعد مورفيمات توجه الملقي والمتلقي معًا، يصدق عليها قول "انسكومبر" (*Anscombre*):

« يوجد في اللغة عوامل حجاجيه تشدُّ الملفوظ وتوجّه أقسام الناتج المرتبطة بالجملة»[3]

خصص "ديكرو (*Ducrot*)" في نظرية السَّلالم الحجاجيّة للنّفي نصيب الأسد في تحديد وجهة الخطاب الحجاجيّة، وقد اعتبره أدق العوامل في تحديد منزلة الملفوظ من السُّلم الحجاجي، منطلقا من مثالين هما :

1- لم يقرأ زيد جميع روايات بلزاك.

2- قرأ زيد جميع روايات بلزاك.

---

[1] ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 248.

[2] ينظر، عابد بوهادي، الإحالة الزمنية لأدوات النّفي وتطبيقاتها في القران الكريم، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان (د/ط)، 2015 م، ص 49-95-139.

[3] عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط1، 2011 م، ص 47.

وقد عبَّر "ديكرو " عن رأيه في هذا قائلا: المثال الأول موجه نحو نتيجة سالبة من صنف أن زيدًا لا يعرف بلزاك جيدًا، في حين أنَّ المثال الثاني عكس ذلك تمامًا، إذ أنه موجه نحو نتيجة إيجابية من صنف أن زيد يعرف بلزاك[1].

إذا لا يمكننا إدراك عاملية النّفي الحجاجية إلّا بإدراك النتيجة التي يريد الباث توجيه جمهوره إليها، لذلك كان ديكرو في معرض حديثه عن النَّفي يركن دائما إلى رائز المفهوم وهو: "لماذا قال المتكلم ما قال؟" وذلك من أجل أن يحدد للملفوظ درجته الحقيقيَّة من السلَّم الحجاجي، رغم أنَّه يقول: "إنّ كل تلفُّظ له وظيفة حجاجية (...) ويرنو إلى توجيه المستقبل إلى نتيجة محددة ."[2]

فالنَّفي تلفُّظ على تلفظ أي توجيه على توجيه، ولذلك بمجرد إدماج عامل النفي تتحدد النتيجة (ن) بسرعة، ولا يجد المتقبل حرجًا أو كدًا في إدراك المفهوم، بل إن ديكرو يرى أن هناك قيمة إضافية للنَّفي، فهو ضروري لوصف البنية الدلالية العميقة للملفوظة الذي يبدو غير منفي.[3]

ولما كان النَفي مبنيًا على ترديد كلام سابق مثبت ورده على قائله فإن علاقات التخاطب تكشف عن هذا الجانب الجدالي "متعدد الأصوات" بعبارة "ديكرو"، فلئن كان المخاطب صادرا على اعتقاد يقين في صدق إثباته المنسوب إليه على الحقيقة أو الإعتبار حقا أو إدعاء من المتكلم النافي، فإن من يعمل النّفي يصدر عن إعتقاد يقين أيضًا وهو يقين مخالف ليقين المثبت.[4]

من خلال ما تطرقنا إليه نستنتج بأن النفي عبارة عن آلية حجاجية تستهدف وجهات النّظر وتصحيحها، أي إقناع المخاطب والتأثير فيه عبر واسم من واسمات النَفي المعروفة (لا، ما، ليس...)

---

[1] ينظر، ألطاف اسماعيل احمد الشامي، العوامل الحجاجية شعر البردوني (النفي أنموذجا) مجله كليه العلوم الإسلامية علمية – فصلية – محكمة تصدرها كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد، ع 43. (16 ذي الحجة 1436 هـ/ 30 ايلول 2015 م) ج 1، ص 425.

[2] ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 50.

[3] ألطاف اسماعيل احمد التامي، العوامل الحجاجية شعر البردوني (النفي أنموذجا)، ص صفحة 426.

[4] ينظر: شكري المبخوث، دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، آذار/مارس/ربيع 2010 م، ص 189.

الفصل الثاني

حجاجية النفي في مدونة عيون البصائر

أولا: عيون البصائر بين الشّكل والمضمون.

1- التعريف بالمدوّنة.

2- البنية الخطابيّة لمدونة عيون البصائر.

3- قراءة وصفيّة وفق النَّموذج المقترح عن كتاب عيون البصائر:

ثانيا: حجاجيّة النّفي في مدوّنة عيون البصائر.

1- عامل النفي (لا).

2- عامل النفي (ما).

3- عامل النفي (لم).

4- عامل النفي (غير).

5- عامل النفي (ليس).

أولا: عيون البصائر بين الشَّكل والمضمون:

يشكّل الخطاب الإبداعي مقصديَّة خاصة، بإعتباره محفلا نصيًّا قادرًا على إنتاج المعنى، وتشكّل الدلالة: وعلى طبيعة الخصائص التداوليَّة الكامنة وراء كل من الخطاب الإبداعي، والخطاب النقدي، والخطاب الفكري الذي يمنح التفكير في عتبة النص موقعه ضمن نظريات تحليل الخطاب، تنتمي مقالات الإبراهيمي إلى مدرسة الأدب المحافظة وهو زعيمها في الجزائر في وقت كانت اللغة العربية تواجه تحديات البقاء تحت نير الاحتلال، عند قراءتنا لمقالاته، نجد: لغة قوية عميقة الدلالة، ذات ألفاظ دقيقة تراعي الموضوع المتناول، فنراه يخوض في هذه المقالة على اختلاف مواضيعها الإجتماعيّة، السياسيّة، الدينيّة، والإصلاحيّة، تحسه موسوعة أدبية، مستعملا: الترادف والإشتقاق، والتّكرار، والإقتباس... الخ، حتى يزيد المعنى قوة عمقًا.[1]

إنّ أول ما علينا القيام به في أثناء معالجة نصوص "الإبراهيمي" هو دراسة بنيتها من حيث الشكل والمضمون، وفق تصور فني نحلّل بواسطته بنية هذا النص، إذ تعّد مقا لاته ذات أسلوب فريد ومتميز ومن أهم مميزاتّها نجد ما يأتي:

- المنهجيَّة الدقيقة والعرض المنطقي.
- الجمع بين جمال الصياغة والتَّعبير عن الفكرة.
- السخرية الحادة واللهجة العنيفة عند المناقشة.
- ظاهرة الإقتباس والتَّضمين.[2]

1- عيون البصائر تعريفها:

سمَّى الإبراهيمي هذه المقالات "بعيون البصائر" وقد علل "محمد الهادي الحسني" سبب تسميته قائلا: "وإنّ لكلمة "العين" في لغة يعرب لمعان كثيرة منها: العين، نبع الماء والماء هو مصدر الحياة،

[1] ينظر: عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص البنية والدلالة، ص11-12.

[2] ينظر: عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، الجزائر، ط1 ،2009، ص37.

فكأن "عيون البصائر" ماء فكريًا، تحيا به العقول كما تحيا بالماء الحقول، وقد كانت عيون البصائر ماء حيويًا ضد الأفكار الميتة التي يشيّعها الطرقيون والظِّلال، وضدَّ الأفكار القاتلة التي يبثها أرباب المخابر الفكريّة الفرنسيّة وأتباعهم من المسلمين، والعين هي آلة الإبصار التي تمنع المرء من الوقوع في المطبَّات والإصطدام بالأشياء، وقد كانت هذه المقالات "عيونًا" أبصر بها الجزائريون طريقهم ورأوا بها عدَّوهم، وأبصروا بها حقائق دينهم ودنياهم، والعين هو النَّفيس، من كل شيء، وقد كانت هذه المقالات وستبقى من أنفس ما دبَّجته الأقلام وأبدعته الأحلام، من معاني فحلة في عبارات جزلة"[1]

2- البنية الخطابيّة لمدوّنة عيون البصائر: (فن المقال)

تندرج عيون البصائر (محمد البشير الإبراهيمي ضمن ما يسمَّى بـ "فن المقالة" التي حققت موضعها وأسسها ضمن الأجناس الأدبية الأخرى، واتضحت ملامحها واختلفت مواضعها حسب طبيعة الصحف والمجلات، ثم اكتسبت المقالة مميّزات عدة، واختلفت موضوعاتها، وأضحت المقالة في مفهومها تعرف بكونها)، "قطعة نثريّة متوسِّطة الطول تمتاز بالسهولة، والوضوح والاستطراد، تعالج موضوعًا من الموضوعات وفق تأثر الكاتب به"[2]

كما تقسم المقال إلى نوعين هما:

2.1: المقالة الذَّاتية: تبدو فيها شخصيّة الكاتب جليَّة جذابَّة تستهوي القارئ وتستأثر بلُبِه، وعدَّته في ذلك الأسلوب الأدبي الذي يشع بالعاطفة.

2.2: المقالة الموضوعيّة: هي التي تلزم الكاتب بتحليل موضوعه وفق أسلوب علمي قوامه الوضوح، والدِّقة دون أن يفسح المجال لعواطفه التي قد تعيد به عن المنهج العام، الذي سطره لمقالاته.

[1] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص33.

[2] ينظر: محمد يوسفنجم، فن المقالة، دار الثقافة، ط4، بيروت-لبنان، (د، ط)، ص62.

"إنّ النَّوَاة الحقيقية للمقال هي، فكرة أو خاطرة يستوحيها الكاتب من تجاربه أو خياله، أو قراءاته المتعددة، فيصبغها بأسلوبه، ثم يعرضها للنّاس"[1]

3- قراءة وصفيّة وفق النَّموذج المقترح عن كتاب عيون البصائر:

- بطاقة تقنية للكتاب:

- **المؤلف:** محمّد البشير الإبراهيمي.
- **العنوان:** آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي الجزء الثالث: عيون البصائر.
- **جمع وتقديم:** أحمد طالب الإبراهيمي.
- **دار النشر:** دار الغرب الإسلامي.
- **البلد:** بيروت - لبنان.
- **السنة:** 1997.
- **عدد الأجزاء:** خمس أجزاء.
- **الطَّبعة:** الأولى.
- **عدد الصّفحات:** خمس مائة وتسعة وتسعون صفحة (599).

[1] ينظر: أحمد أمين فيض الخاطر، ص179.

تمهيد:

سنتناول في هذا الفصل التَّحليلي الحجاجي لأدوات النَّفي في نماذج مختارة من مقالات البشير الإبراهيمي، وذلك من خلال إسقاط المعطيات النَّظريَّة على هذه النماذج، بهدف تبيان الغايات الحجاجيَّة التي تحقّقها أدوات النّفي بغية إقناع المتلقي، وتحقيق الوظيفة الحجاجيّة وقد تمثل هذا في إنكار ونفي رأي ما وتقديم رأي آخر بغرض إثبات نقيض ذلك.

مما لا شكّ فيه أنَّ الإبراهيمي تطرَّق في مقالاته إلى أنواع من الإصلاح منها الإصلاح الإجتماعي حيث لم يغفل الإبراهيمي في عيون البصائر إلى التطرق للموضوعات والقضايا الإجتماعية كصداق هل له حد؟ وأعراس الشّيطان... وغيرها، كما تطرَّق إلى الإصلاح السّياسي حيث كان رافضًا سياسة القمع والإرهاب الفرنسيَّة، إذ يشكِّل الإصلاح السّياسي أحد أهم المطالب الرئيسية "للإبراهيمي" في مقالات "عيون البصائر" وناضل من أجل هذه المطالب بقلمه تحت عناوين كثيرة. ولهذا قد اخترنا البعض من هذه المقالات المختلفة للتّطبيق عليها وكانت عناوينها كالآتي:

1- ثلاث كلمات صريحة.
2- الصّداق...وهل له حل؟
3- لجنة – فرانس اسلام 1.-
4- ذكرى 08 ماي.
5- موجة جديدة.
6- أعراس الشّيطان.

من خلال دراستنا وتحليلنا لهذه المقالات لاحظنا أنّها احتوت على العديد من أدوات النّفي التي استعملها الإبراهيمي لتحقيق حجاجيته، وقد حددنا هذه الأدوات حسب التَّواتر أي من الأكثر استعمالًا إلى الأقل استعمالًا (لا، ما، لم، غير، ليس).

ثانيا: حجاجيّة النّفي في مدونة عيون البصائر

1- عامل النفي (لا):

إذا قارنا أداة النَّفي **لا** بباقي الأدوات فهي الأداة الأكثر ورودا فقد وظفت 67 مرَّة وهي أداة أصليَّة تدخل على الجملة الفعليَّة والجملة الإسميَّة، ويمكننا تفسير كثرة ورودها وتوظيفها في كونها تأتي عاملة مرَّة وغير عاملة مرَّة أخرى.[1]

نبدأ التَّطبيق في المقال الأول (ثلاث كلمات صريحة) الذي وردت فيه أداة النَّفي **لا** (**45**) مرة حيث كانت حجاجية النَّفي في هذا المقال قويَّة وواضحة وتبيّن هذا في المثال الأول في قول الشيخ الإبراهيمي مخاطبًا أمَّته: هذه الحركة العلميَّة الجليلة القائمة بالقطر الجزائري، هي الأساس المتين للوطنيَّة الحقيقيَّة وهي التوجيه الصحيح للأمة الجزائرية، فغايتها التي ترمي إليها هي تصحيح القواعد المعنوية من عقل وروح وفكر وذهني، وتقوية المقوّمات الإجتماعيَّة من دين ولغة وفضائل وأخلاق، وتلك وهذه هي الأسس الثَّابتة التي بنيت عليها الوطنيَّات في الأمم، هذه حقيقة لا يماري فيها إلا مكابر أو جاهل[2].

أراد هنا الإبراهيمي أن يبيَّن أنَّ الحركة العلميَّة التي تحدث في القطر الجزائري، هي أساس الوطنيّة وهي العامل الموجّه للأمّة الجزائرية، والغاية منها تصحيح كل ما هو عقيده خاطئة في العقل والروح والفكر والذهن، كذلك الغرض منها تقوية المقومات الإجتماعية المتمثلة في الدِّين واللُّغة والأخلاق والآداب، فبتالي هذه هي الأسس التي بنيت عليها الوطنيّة في كل أمّة وأكّد أنّ هذه حقيقة ثابتة لا يجادل فيها إلَّا الجاهل أي نفى أنَّ هناك من يشكّ أو يجادل في هذه الحقيقة إلّا إذا كان جاهلًا، وهنا نلاحظ أنه أكَّدَ رأيه عن طريق النّفي.

[1] مالك عوادي: الخطاب الحجاجي عند الامام محمد الغزالي، دار النشر جامعة محمد خيضر باتنة، ط1، الجزائر، 2016، ج1، ص 83.

[2] محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الامام محمد البشير لإبراهيمي، ص 312.

ننتقل إلى المثال الثّاني الذي نلاحظ فيه كذلك النّفي بـ (**لا**) في قوله: وهذه الحركة العلميّة لم يضع أصولها العمليّة، ولم ينظّم قوافلها ولم يحم حماها من كل دسّاس وكل خنّاس إلاَّ جمعيّة العلماء، **ولا** يعلى بنائها ويرفع سمكها في المستقبل إلَّا جمعيَّة العلماء[1].

وضّح الإبراهيمي هنا فضل جمعيّة العلماء في وضع أصول هذه الحركة العلميّة، وأنّ جمعيّة العلماء هي من نظّمتها وقامت بحمايتها ونفى وجود من يرفع بها المقام في المستقبل من غير جمعية العلماء مستكملاً قوله: "وهذه حقيقة أخرى لا يكابر فيها إلَّا حسود أو متبع لهواه، أو مسخّر للإستعمار. بمعنى أنه لا ينكر هذه الحقيقة إلاَّ حسود فنلاحظ أنه استخدم أداة النَّفي لا مرّتين لينفي الرّأي مؤكّدًا رأيه، فتكرار هنا جاء للتأكيد على النّفي.

دائما ضمن خطاب الإبراهيمي إلى أمَّته واصل حجاجه مستخدما أداة النّفي **لا** في قوله: وهذه الحركة **لا** تبلغ مداها، **ولا** تؤتي ثمراتها، **ولا** تتمخَّض عن نهضة ثابتة إلّا إذا استندت على عمادين قارّين من علم وعمل.[2] وفي هذا القول نفى الإبراهيمي بلوغ الحركة العلميَّة مداها وجني ثمارها إلا إذا اعتمدت على سندين قويين من جمعية العلماء والأمَّة. خاتما قوله بأن هذه أيضًا حقيقة ثالثة أوضح من الصّبح، أي لا نقاش فيها.

يذهب بنا المقال إلى أخذ مثال آخر في قول الإبراهيمي: "أمّا جمعيَّة العلماء فقد قامت بقسطها وبرئت إلى الله من تبعة التّقصير، وإلى الأمَّة من خيانة الأمانة وما زالت دائبة في ترقية الحركة، جاهدة في حِياطتها بالنِّظام، تنتقل بها في كل عام من عالٍ إلى أعلى، ومن نافع إلى أنفع، **لا** تريد من الأمّة على ذلك جزاء، **ولا** شكورًا."[3] فالفكرة التي أراد البشير توضيحها في هذا القول أنّ جمعيَّة العلماء قامت بواجبها دون تقصير أو خيانة أمانة ولا زالت تريد ترقية الحركة إلى الأكثر أي من عال إلى أعلى نافيًا بذلك أنَّ هذه الجمعية فعلت كل هذا منتظرةً جزاءً شكوراً على هذه الأفعال، أي أنَّه

[1] محمد بن البشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي، ص 312.

[2] المصدر نفسه، ص 312.

[3] المصدر نفسه، ص 313.

نفى أنّ جمعيَّة العلماء تعمل بمقابل وأكَّد أنَّ هذا دون مقابل وأنَّ الجمعيَّة ما هي إلَّا تبتغي من الأمَّة أن تؤدي دورها في المساعدة.

أمَّا إذا تحدَّثنا عن النّفي في نفس المقال فقط الاختلاف في أنّه موجه إلى تلامذة الزيتونة والقروين، كذلك نلاحظ وجود النفي بكثرة بالأداة **لا** في قول الإبراهيمي: "**لا** حق لكم على الوطن، بل الحق كله للوطن عليكم".[1] حيث نفى الحجَّاجي بشير نفيًا كليًا وتامًا لوجود أي حق للتلاميذ على الوطن موضَحًا ومؤكدًا أن الوطن هو من يملك عليهم كل الحق.

وحتى نلمس النّفي في هذا المقال كله نأخذ قولا آخر للإبراهيمي مخاطبا أولياء التَّلاميذ، إذ قال: "فإذا بلغوا الرّشد تقاضيتموهم برًّا ببر، وإحسانًا بإحسان، فإذا خرجتم في سلطتكم عن حدود الدّين، ف **لا** طاعة لمخلوق في معصية الخالق".[2] فالمراد من قوله هذا أنَّ للأولياء الحق في توجيه أبنائهم وجهات خير وهم صغار، وإن بلغوا الرشد يقابلوهم برا وإحسانا، دون الخروج عن حدود الدّين، وعدم استخدام السُّلطة بحجَّة أنَّهم أولياء، و في التَّسبب بخروج أبنائهم عن الدّين، حيث قال: أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، أي أنه نفى طاعة الأبناء لوالديهم في حالة كان هذا التوجيه عاصي لله.

يستمر الإبراهيمي في نفس المقال بتوظيف الأداة "لا" لإقناع متلقّيه إذ قال: "أليس من المبكيات أن **لا** ينجح في شهادة التَّحصيل في جامعة الزّيتونة إلَّا ستة أو سبعة من ألف تلميذ وبضع مائة من أبنائنا؟[3]". أي أنَّه ينفي وهو متحسّر على النتيجة التي حققها التّلاميذ في جامعة الزّيتونة وجاء نفيه في صيغة استفهام غير حقيقي غرضه التّحسر على هذه النّتائج.

يستأنف الحجاجي الحديث عن جمعية العلماء في قوله: "وجمعية العلماء تعتقد أنه لا يتم إصلاح التّعليم في الداخل إلَّا إذا تمَّ إصلاحه في الخارج، لشدَّة الاتصال بينهما، ولأنَّ التعليم في الخارج هو

[1] محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 315.

[2] المصدر نفسه، ص 316.

[3] المصدر نفسه، ص 317.

الذي يغذي التعليم الداخلي بالمعلمين"[1]. جمعية العلماء هنا حسب اعتقادها نفت إمكانية إصلاح التعليم في الدّاخل وربطته بالإصلاح في الخارج إذ وضّحت العلاقة الوطيدة بينهما مبرزة أن التّعليم الخارجي هو مغذّي للتّعليم الدّاخلي، لينهي البشير كلامه حسب اعتقاد جمعيَّة العلماء بأنّ التّعليم الدّاخلي من المستحيل أن ينال خيرًا من مجموعة معلمين يتخرّجون من المقاهي ويكسبون المعلومات من جرائد حزبية، وتنكر العلم، والترويج للأميَّة عن طريق تمجيد الأمّيين، لينهي كلامه متسائلًا: أفيرجى من أمثال هؤلاء المعلمين خير ؟ اللهم لا"! [2]

وهنا كان نفيه نفي التَّمني، حيث يرى أنَّ أمثال هؤلاء المعلّمين لا يأتي منهم إلَّا الشَّر لذلك تمنَّى بعدهم عن التّلاميذ.

تطرَّق كذلك الإبراهيمي في نوع آخر من مقالاته الَّتي تنسب إلى ما يسمى بـ (مشاكلنا الاجتماعية) وبالتحديد في مقال (الصداق–وهل له حد؟) إلى استخدام الأداة (لا) وقد أحسن توظيفها لغرضه الحجاجي، فقد وظّفها عدّة مرّات، وأوّل مثال على ذلك في قوله: "... ومن وخامة العاقبة وسوء المصير، ولكن إعمالنا في هذه القضيّة **لا** تظهر نتائجها الكاملة إلَّا في جيل يكون أقوى إرادة من هذا الجيل الذي ملكت العوائد عليه أمره، فأعمته عن مصالحه، وأفسدت عليه دينه ودنياه."[3] فالحجاجي هنا نفى ظهور نتائج جميع أعمال هذه القضيّة إلَّا إذا كان هناك جيل قوي الإرادة على عكس هذا الجيل الذي أعمته المصالح الشخصية وأفسدت دينه ودنياه.

كذلك في سياق الحديث على الصّداق وحده قال:" ... ولكنهم غفلوا في أمرين: الأول أنهم مهما هبطوا بالمبلغ المحدود فإنَّ من الفقراء من لا تصل قدرته إليه..."[4] أي أن الفكرة التي أراد إيصالها هي أنهم غير مدركين لأمر مهم من بين العديد من الأمور وهو أنّهم مهما قاموا بتقليص

[1] محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 317.

[2] المصدر نفسه، ص 317.

[3] المصدر نفسه، ص 323.

[4] المصدر نفسه، ص 324.

المبلغ ووضع حد له إلَّا أنّه هناك من الفقراء من لا يقدر على هذا المبلغ الذي تم تحديده، بالتّالي هنا نفى قدرة وصول الفقير إلى هذا المبلغ مهما بلغ حدَّه الأدنى.

ينهي الإبراهيمي حديثه في هذه النّقطة في شكل نتيجة لهذا الفعل متطرقا لأمر آخر فيقول: ... ويصبح هذا التَّحديد إرهاقًا له وتعنيتًا، والثّاني أن إصلاحا مثل هذا لا يتمّ إلّا إذا سبقه إصلاح في الأخلاق وإصلاح في التربية...[1]

أي أنّه نفى حدوث هذا الإصلاح وأكّد أنّه لن يتم إلّا إذا كان هناك إصلاح في التربية، الأخلاق، والدين ...

إذا ذهبنا إلى مقال آخر من مقالات الإبراهيمي فسنذهب إلى ما عنوانه "لجنة فرانس إسلام 1" فنأخذ كمثال للدّليل على النّفي في هذا المقال قوله: في العربيّة تركيب الإسناد، والإسلام **لا** يرضى أن يسند إلى فرنسا الإستعماريّة، و**لا** أن تسند هي إليه، و في العربيّة التركيب الإضافي والإسلام **لا** يسمح أن يضاف الى فرنسا، و**لا** أن تضاف هي إليه، وفي العربيّة التركيب الوصفي، والإسلام **لا** يقبل أن يوصف بالفرنسي، و**لا** أن توصف فرنسا «بالإسلاميّة».[2] كرر الحجاجي بشير في قوله هذا أداة النّفي لا للتّأكيد على هذا النفي ، أي أنّه نفى قبول ورضى الإسلام أن يسند إلى فرنسا الإستعماريّة.

ونفى أن تسند هي إليه، ونفى أيضًا سماح الإسلام أن يضاف إلى فرنسا وأن تضاف هي إليه، ونفى أيضا قبول الإسلام وصفه بالفرنسي وأن توصف فرنسا به موضحًا هذا النفي والإختلاف بين الإسلام وفرنسا عن طريق تشبيهم بالزيت والماء في قوله: والاسلام وفرنسا كالزيت والماء... **لا** يمتزجان إلَّا في لحظة التّحريك العنيف[3].

---

[1] محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 324.

[2] المصدر نفسه، ص 350.

[3] المصدر نفسه، ص 350.

2- عامل النَّفي (ما):

ورد عامل النَّفي ما في المدونة (29 مرّة)، أي في المرتبة الثَّانية.

"تنفي ما الجمل الاسميَّة والفعليَّة فإذا أُدخلت على الجمل الاسميَّة كان نفيها للحال عند الإطلاق، وإذا قُيّدت كانت بحسب القيد"[1] هذا عن وظيفتها النَّحوية أمَّا الحجاجيَّة فتظهر من خلال النماذج الآتية:

نبدأ من المثال الأول الذي وردت في أداة النفي (**ما**) في حديث الإبراهيمي عن: تلامذة الزَّيتونة والقرويّين، نفى فكرة توجيه الآباء لأبناءهم نحو تلقّي العلم، وأكد على غفلتهم قبل ظهور جمعية العلماء، التي مهدت لهم طريق الهجرة إلى تونس، وتلقّي أصول العلم في جامعة الزَّيتونة، والقضاء على آثار الأمّية، ويقول: "وما كانوا قبل جمعيّة العلماء يوجّهون أبنائهم لمفيد، أو لمحمود من المقاصد سديد"[2]

في المثال الثَّاني في سياق الحديث عن: المستشرقين الفرنسيّين الذين تناولوا قضايا التُّراث الإسلامي تناولًا مختلفًا عن أقرانه، وهذا ما أكَّده الإبراهيمي من خلال قوله: "وأنا أُسمّي ثلَّةً من هؤلاء المستشرقين «حكوميّين» تسمية صادقة أصدر فيها عن رويَّة وتثبُّت، **فما** هم إلَّا أذناب لحكوماتهم، **وما** هم إلَّا موظَّفون ومستشارون حكوميُّون، **وما** هم إلَّا تراجمة للحكومات الإستعمارية، وأدلَّاء يترجمون لها معاني الشَّرق"[3]. نلاحظ استعمال حرف النَّفي **ما** ثلاث مرَّات ليُدمغ بالحجَّة رأيه، فحسب قوله هذا فإنَّهم يجعلون العلم خدمةً للاحتلال.

يستأنف المحاجج كلامه عن المستشرقين، وينفي بأن تكون أهدافهم نبيلة وأن لا أحد يقف وراءهم، فيقول: "**ما** هم إلَّا آلات في أيدي وزارات الخارجية"[4] الإبراهيمي يؤكّد مرة أخرى بأنّهم

---

[1] فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، (1420 هـ/ 2000 م)، ج 4، ص 191.

[2] محمد بن بشير بن عمر الابراهيم، آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي، ص 315.

[3] المصدر نفسه، ص 351.

[4] المصدر نفسه، ص19.

عملاء فرنسا، جاءت بهم لتحقيق باطل، وإبطال حق، واستعباد الأمم الضعيفة، واستعمار العقول والأوطان.

نمضي مع مثال آخر عن: أعراس الشَّيطان، حيث تحدَّث الإبراهيمي عن الأماكن التي يتواجد فيها، ولا يبرحها، فيقول: "**وما** كنَّا نعلم أنَّ للشَّيطان مرابع خاصة لا يبرحها في فصلين من السَّنة، ومعظمها في 'العمالة الوهرانية'، **وما** ذلك لطيب في هوائها، أو عذوبة في مائها، أو اعتدال في جوّها، فالشَّيطان غنيٌّ من هذا كله"[1] نجد حرف النفي **ما** قد تكرَّر في هذه العبارة مرَّتين؛ في المرَّة الأولى قام الإبراهيمي بنفي علمه بوجود أماكن خاصة بالشَّيطان لا يتركها طيلة فصلين من السَّنة، وفي المرَّة الثَّانية يؤكّد على أنَّ الشَّيطان لا يبرح مرابعه لأنه يبحث عن سهولة الانقياد التي وجدها في القلوب الضعيفة، فنفى أن يكون السَّبب راجع: لطيب هوائها، أو عذوبة مائها، أو اعتدال جوّها.

في مثال آخر استعمل الإبراهيمي عامل النَّفي ما للحديث عن الموجة الجديدة في راديو الجزائر التي تسببت في استياء وفوضى كبيرة لدى الفئة العاقلة من المجتمع يقول: "ما كنَّا نتوقع حين نشرنا افتتاحية العدد الماضي ان الحماقة تبلغ بالاستعمار المسيّر للإذاعة الجزائرية إلى هذا الحد"[2] فهو هنا ينفي توقُّعهم بأنَّ غباء فرنسا قد يصل بها إلى تخصيص موجة للُّغة القبائلية.

يستأنف المحاجج كلامه عن الموجة الجديدة، يقول: "وما الرَّاديو إلَّا أداة حكوميَّة تسيره في أغراضها"[3] الإبراهيمي هنا ينفي تدخل الأمازيغ في تشغيل الراديو نفيا قاطعا، فحسب رأيه فرنسا تستخدمه كوسيلة لزرع الفتنة بين الأمازيغ والعرب، لضرب استقرارهم وتشتيتهم.

[1] محمد بن بشير بن عمر الابراهيم، آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي، ص 319.

[2] المصدر نفسه، ص 399.

[3] المصدر نفسه، ص 401.

3- عامل النفي (لم) :

تأتي لم في المرتبة الثَّالثة من حيث نسبة ورودها في المدونة، حيث وردت 25 مرة، وهي من حروف النَّفي لنفي المضارع وجزمه وقلبه ماضيا[1]، ولم حرف نفي له ثلاثة أقسام:

- أن يكون جازمًا.
- أن يكون ملغى لا عمل له، فيرفع الفعل المضارع بعده.
- أن يكون ناصبًا للفعل.

ونبدأ في طرح الأمثلة، مع المثال الأوَّل الذي تضمن النَّفي بلم، وقول الشَّيخ الإبراهيمي :"وهذه الحركة العلميَّة لم يضع أصولها العلمية، ولم ينظم قوافلها، يحم حماها من كل دسَّاس ،وكل خنَّاس إلَّا جمعية العلماء المسلمين."[2]

في هذا تحدث الإبراهيمي عن جهود حركة جمعية العلماء المسلمين، وإسهامها في تنظيم ووضع أسس الحركة العلميَّة كما نجد أنه نفى نفيًا جازمًا تدخُّل أي كان في حمايتها من الخونة، وهذا ليثبت أنَّها الوحيدة التي صنعت أجيال من خلال الإشراف على تعليمهم، وأنَّها الأساس المتين للوطنيَّة الحقيقية، وهذا من أجل حماية الدّين، واللُّغة، والأخلاق من الضَّياع.

وفي المثال الثّاني يستأنف المحاجج كلامه عن تأسيس الحركة العلميَّة والعقبات التي واجهتهم من نقص رأس مال، وعن مدى صبرهم لاجتياز كل المشاكل التي واجهوها، فنفى اجتيازهم للعقبات بتوفُّر حاجيّاتها وإنَّما اجتازوها بالصَّبر والكفاح، ونجاحهم في تأسيس معهد عبد الحميد بن باديس فيقول: "... ولقد لقينا في تأسيسه من العقبات الماليَّة ما لم نجتزه إلَّا بالصَّبر وتوفيق الله..."[3].

---

[1] المرادي (الحسن بن قاسم)، الجنّي الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1992 م ص 296.

[2] محمد بن البشير بن عمر الابراهيمي، آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي، ص 312.

[3] المرجع نفسه، ص 313.

ونمضي مع مثال آخر: "قد بلغنا في الإحتياط أبعد حد، وقرأنا لكلّ شيء حسابه قبل أوانه، وكشفنا للأمَّة عن كلّ شيء ولكن الأمَّة لم تُقدّر الأمر كما قدَّرناه، ولم تقم بواجبها، فاللَّهم أشهد"[1]، وهنا تبرز حكمة المحاجج وحسن اختياره للحجج من خلال نفيه تلقّي المساعدات من الأمَّة، وأنَّها لم تولي الأمر أهمية كما فعلوا هم ولم تقم بواجبها.

يقول في مثال آخر "لكم الحق –أيها السَّادة–دينًا وعقلًا وعادةً أن توجّهوا أولادكم ما داموا صغارًا حيث تشاءون من وجهات الخير، ما لم يكن في ذلك مأثم أو قطيعة رحم"[2]، يقصد المحاجج من خلال قوله هذا بأنَّ للآباء حقا في توجيه أطفالهم وهم صغار كيف ما شاءوا لكن في إطار الدّين، لأنَّه: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

يستأنف المحاجج كلامه عن الصَّداق في هذا المثال حيث ينفي ما يبديه الفقهاء من تفسيرات سطحية للصَّداق إذا شبَّهوه بالبَيع والشّراء فيقول: "فإذا أدخلناها في باب الأثمان والقيم لم يبقى إلَّا أن نسمّي الزَّوجة بائعة، والزّوج مشتر، والخاطب سمسارًا"[3] وهنا تبرز حكمة الحجج المختارة المعبّرة.

يقول في مثال آخر: "ولو كان له حد منصوص في الكثرة لوقف عنده عمر، ولم يعزم على تحديده، وإن كانت الرّوايات لا تفيد أنه عزم على التَّحديد وإنما نهى عن المغالاة فيه"[4]. الإبراهيمي هنا تحدث عن إقامة حد للمهر من عدمه، و إن كان الأقرب للصَّواب أنَّه لم يحدَّد لأنَّ سيدنا عمر بن الخطاب ""رضي الله عنه"" نهى عن المغالاة فيه، أي أنّه نفى عزم عمر بن الخطاب على تحديد الصداق.

ونمضي مع مثال آخر يثبت من خلاله أن: فرنسا عدو الإسلام منذ القدم إلى يومنا هذا، وينفي بذلك عدلها أثناء فترة حكمها واستعمارها فالتَّاريخ لم يكتب بأنَّها كانت صديقة، أحسنت، فقدرت، فعفت فيقول: "... نعم إنَّ فرنسا الاستعمارية عدوَّ الإسلام في ماضيها كله، وفي حاضرها، فلم

[1] محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص313.

[2] المصدر نفسه، ص 316.

[3] المصدر نفسه، ص 324.

[4] المصدر نفسه، ص 325.

يكتب تاريخها أنَّها جاورت فأحسنت، أو قدَّرت عليه فعفت، أو عاملت فصدقت، أو حكمت أهله فعدلت..."[1].

4- عامل النَّفي (غير):

ورد عامل النَّفي **غير** في المقالات المختارة 15 مرة، أي احتل **المرتبة الرَّابعة** من حيث نسبة وروده في المقالات المدروسة.

"وغير اسم يفيد نفي الاسم الواقع بعده، ويعرب حسب موقعه في الجملة، وهو مضاف، وما بعده مضاف إليه مجرور دائما"[2].

ونلمس عامل النفي **غير** في المثال الأول في حديث المحاجج عن المجازر التي ارتكبها الاستعمار في حق الشَّعب الجزائري، تحت عنوان" ذكرى 08 ماي "يقول: "وقدَّمت من ثمن النَّصر مئات الألوف من أبنائها قاتلوا لغير غاية، وقتلوا من **غير** شرف"[3]، هنا ينفي المحاجج وصول أبناء الجزائر إلى مبتغاهم، وتحقيق فرنسا لوعودها، بل العكس قامت بارتكاب مجازر عظمى في حقّهم، بالرغم من مشاركتهم في الحرب العالميَّة الثَّانية، لكن كانت مشاركتهم دون تحقيق مبتغاهم (الاستقلال)، فقد كانت الأمَّة تقاتل لخيال من الأمل.

في المثال الثَّاني تحدَّث المحاجج عن أعراس الشَّيطان وتفشّيها في المجتمع بالرُّغم من أنَّها بدعة، وحرام، وهذا لقدرة الشَّيطان على تزيين الفواحش والبدع، ولسهولة انقيادهم نحو ارتكاب الفواحش فيقول: "فهو يتفنن في تزيين الفواحش لهم، ويعرضها عليهم مزركشه ذات تهاويل، ويضع الأسماء على غير مسمياتها ليغرَّ بالزّركشة ويغري بالاسم."[4] نفى الإبراهيمي من خلال قوله هذا تسمية الفواحش بأسمائها الحقيقيَّة، لأنّ الشّيطان يخيل، ويزين لهم الفاحشة من خلال إطلاق اسم الدّين على ما ينقص الدّين، مما يجعلهم يخسرون دينهم ودنياهم.

---

[1] محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 351.

[2] مالك عوادي: الخطاب الحجاجي عند الامام محمد الغزالي، رسالة الدكتوراه، جامعة محمد خيضر-بسكرة، ص 99.

[3] محمد بن بشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 334. (مصدر سابق)،

[4] المصدر نفسه، ص319.

نسوق مثالًا آخر يتضمن عامل النفي غير في نفس المقال "أعراس الشَّيطان"، أو ما يعرف بالزَّردة يقول المحاجج : "يا قومنا إنَّكم تنفقون هذه الأموال في حرام، وإنَّ الذّبائح التي تذبحونها حرام لا يحلُّ أكلها، لأنّها مما أهلّ به لغير الله، فمن أفتاكم بغير هذا فهو مفتي الشَّيطان لا مفتي القرآن"[1]. نلاحظ استعمال حرف النَّفي غير مرّتين ليؤكّد حجَّته وهي عدم مشروعيَّة وجواز تقديم الذبائح قربانًا للشَّياطين، وصرف الأموال على ما هو محرَّم، فمثل هذه الأمور مفسدة للعقيدة، العقل والمال.

في مثال آخر يتضمَّن عامل النَّفي غير من خلال حديث الإبراهيمي عن الزَّردة يقول: "وقد كانت هذه الزردة تقام في أيام الجذوب للاستسقاء غير المشروع."[2] نفى الإبراهيمي مشروعية الاستسقاء باللُّجوء إلى غير الله وهذا بإقامة الزَّردة، حيث تقام هذه الأعراس في أيَّام الجذوب اعتقادًا من أصحاب العقول الضعيفة بأنَّها تساعد في نزول المطر.

5- عامل النَّفي (ليس):

ليس فعل ماض جامد من أخوات كان يدخل على الجملة الإبتدائية فينفيها في الحال[3].

لم يتكرَّر عامل النفي **ليس** كثيرا في المقالات التي اخترناها مقارنةً بالحروف النّافية الأخرى، وقد اخترنا بعض من الأمثلة التي لاحظنا عليها النفي بـ **ليس** (دائمًا في مقالات البشير الإبراهيمي) للدّراسة والتّحليل كيف جاء النّفي عن طريق هذه الأداة.

يقول الإبراهيمي في أحد مقالاته: "و**ليس** للصَّداق في أصل الشريعة ونصوصها القطعيَّة، وتطبيقاتها العلميَّة، حدٌ منصوص يوقف عنده لا في القلَّة ولا في الكثرة"[4].فهنا الحجَّاج نفى وجود حد معين كما يقول البعض في قضية الصداق، مؤكدًا على ذلك بأنّه لا يوجد حد لا أقصى ولا أدنى، بمعنى أنَّ الإبراهيمي نفى الرَّأي الآخر مؤكدًا رأيه الخاص المستوحى من الشَّريعة.

---

[1] محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 322.

[2] المصدر نفسه، ص322.

[3] ابن يعش: شرح مفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2001 م، ج 4، ص 366.

[4] محمد بن البشير بن عمر الابراهيمي، آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي، ص 324. (مرجع سابق)

دائما في سياق الحديث عن الصّداق وحدّه و الفصل في حكمه ، وشرعه ظلَّ البشير يحاجّي في هذه القضية لقوله: "وفهمنا لحكمته أنَّه رمز نبوي بعيد المغزى على الإشارة إلى أنَّ ما يفتتن به النَّاس بمقتضى طبيعتهم من اعتبار المال في الزَّواج ليس مقصدًا شرعيًا"[1]. تحدث الإبراهيمي هنا عن ميول النَّاس للمال وافتتانهم به، اذ بيَّن واعتبر أنَّ هذه مقصديَّة غرائزيَّة ناتجة عن حب المال.

دعَّم الحجاجي رأيه في المغزى من تشريع الصَّداق التي استخدمها البعض في تحقيق رغبات غرائزيَّة حيث قال:" أمَّا القصد الحكيم فهو من وراء ذلك: هو من الإحصان، وقمع الغرائز الحيوانيَّة، وسكون القلب الى القلب، وتحقيق حكمة الله في التّناسل وتسلسل النوع، إلى غير ذلك من الحكم التي ليس منها المال"[2] فقد عبر هنا عن رأيه نافيًا أنَّ الحكمة من الصَّداق هي المال وتحقيق الرّغبة الذَّاتية، وإنَّما الصَّداق لغرض آخر :(التَّناسل وتسلسل النَّوع...).

كذلك لمسنا في مقال آخر للبشير وجود العامل ليس في قوله: " يومٌ ليس بالغريب عن رزنامة الاستعمار الفرنسي في الوطن "[3] الحجَّاج هنا نفى أنَّ هذا اليوم "08 ماي" غريب عن أذهان المستعمر، فهو يعتبر من الذّكرى الخالدة للوطن ضد الاستعمار.

[1] محمد بن بشير، الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص324.

[2] المصدر نفسه، ص326.

[3] المصدر نفسه، ص 333.

الخاتمة

خاتمة:

من خلال ما تمّ عرضه وتفصيله في ثنايا المذكّرة توصّلنا إلى جملة من النتائج أهمّها:

- أن الحجاج في اللُّغة تدور معانيه حول: القصد، والجدل، وإقامة الدّليل والبرهان، وهو ما يتوافق مع التعريف الاصطلاحي، والذي يعني تقديم الحجج بهدف إقناع المخاطب أو رد فكرة (دحضها).
- ارتبط الحجاج بالعديد من المجالات أهمُّها: التَّداولية بهدف التَّأثير والتّأثر، إذا تعد هذه الأخيرة أقرب المجالات للحجاج باعتباره مبحثًا من مباحثها.
- النَّفي معجمًا يعني: الطَّرد والابتعاد والجحد ... الخ، وهو ما يتماشى مع التَّعريف الاصطلاحي للنَّفي، حيث عُدَّ النَّفي جحد وإنكار لقول مثبت، وهو خلاف الإثبات.

-يقسَّم النَّفي إلى نوعين حسب تقسيم النُّحاة والبلاغيين:

✓ نفي صريح يتجسَّد من خلال أدوات النَّفي الصَّريحة (لم-لا-ما-ليس-غير...).

✓ نفي ضمني يظهر من خلال بعض الأساليب البلاغية كالاستفهام الإنكاري، وأسلوب الشَّرط بـ (لولا، ولوما... الخ).

-تنقسم أدوات النَّفي الصَّريحة إلى:

أ/ حسب زمن الفعل الواقع بعدها:

1- أدوات نافية مختصَّة بالنَّفي في الماضي: (لم).

2- أدوات نافية مختصَّة بالنَّفي في الحال: من أدواته: (لا-ما-ليس).

3- أدوات نافية مختصة بالنَّفي في المستقبل: من أدواته: (لا)

ب/ ومنهم من يقسمها حسب نوع الجملة الدَّاخلة عليها إلى:

1- أدوات نافية مختصَّة بالجملة الإسمية؛ مثل: (ليس-ما-لا).

2- أدوات نافية مختصَّة بالجملة الفعليَّة؛ مثل: (لم-لما-ما-لا).

وُظّف النَّفي في مقالات الإبراهيمي توظيفًا حجاجيًا بغية إحداث قبول لدى المخاطب.

يعمل النَّفي على الدّفاع عن القضية المسلَّم بها – عيون البصائر، أنموذجا – سواءَ كانت مقالات اجتماعية أم سياسيَّة من أجل تغيير وجهة نظر المخاطب وتصحيحها.

–النَّفي أسلوب حجاجي يوظّفه المحاجج للتَّأكيد على موقفه ودعواه ودحض الرأي المخالف، والمعتقدات الخاطئة.

تعرَّفنا على أبرز أعمال الشَّيخ محمد البشير الإبراهيمي في مسيرته العلمية والفكرية خاصة النثر، أي لاحظنا تحمُّل خطاباته بالعوامل الحجاجيَّة أهمها النَّفي.

في الأخير نرجو أن نكون قد وفينا هذا الموضوع بعض حقه من الدّراسة، والبحث، والوصف، والتَّحليل.

ختاما نسأل الله التوفيق والسداد.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم،ط1، 2018م، برواية ورش عن نافع.

-قائمة الكتب باللغة العربية:

1- إبراهيم أنيس من أسرار اللغة.

2- ابن فارس ت 395 ه، معجم مقياس اللغة عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطيبة والنشر والتوزيع، الطائف-المملكة العربية السعودية (د/ط) (1399 ه/ 1979م)، ج 2، مادة (ح-ج-ج).

3- ابن يعيش، شرح مفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2001 م، ج 1.

4- ابن يعيش، موفق الدين ابو البقاء يعيش بن علي: شرح مفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1، 2001 م، ج 5.

5- بدر الدين محمد بن عبد الله الزمركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، تح على دحروج، مكتبه لبنان ناشروه: ط 1- ج 2، 1996 م.

6- جمال الدين ابن منظور ابن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط) (د.ت) مادة نفى، ج 6.

7- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1982 م، ج 1.

8- الحبيب اعراب، "الحجاج والإستدلال الحجاجي: العناصر استقصاء نظري" ضمن كتاب: "الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة اشراف ونظر اسماعيل علوي عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط 1، 2010م، ج 2.

9- الخليل بن أحمد الفراهيدي، 170 ه، كتاب العين، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، (1424 ه-2003 م)، ج 1، مادة (ح،ج،ج).

10- سيبويه الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 1، (د/ت.)

11- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة، دار الفارابي، بيروت-لبنان، ط1، 2001م.
12- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط 1، 2011 م.
13- عليا بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت-لبنان، 2003 م- 1424 ه.
14- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 1420 ه/ 2000 م، ج 4.
15- مالك عوادي: الخطاب الحجاجي عند الإمام محمد الغزالي ص 83.
16- مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، دار المعارف المصرية، ط 2، 1972 م، ج 2.
17- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1997، ج 5.
18- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح ضبط وتخريج: مصطفى ديب، البقا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة-الجزائر، ط 4، 1990، مادة (ن.ف.ى).
19- مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقل وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط 2، 1986 م.
20- ينظر، سليمان فياض، النحو العصري، دليل مبسط لقواعد اللغة العربية المركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط 1، 1995 م.
21- ينظر، شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، آذار/مارس/ربيع 2010.
22- ينظر، عابد بوهادي، الإحالة الزمنية لأدوات النفي وتطبيقاتها في القرآن الكريم دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، (د.ط)، 2015 م.
23- ينظر محمد أمين منشاوي، المعجم الميسر في القواعد والبلاغة والإنشاء والعروض.

-الكتب المترجمة:

1-أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب:خليل أحمد عويدات، بيروت، ط 2، 2001م، مج 1، A-G.

-المجلات:

1-ألطاف إسماعيل أحمد الشامي، العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفي أنموذجا) مجلة كلية العلوم الإسلامية علمية –فصلية- محكمة تصدرها كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ع 43، 16 ذو الحجة 1436/ 3 أيلول 2015م، ج1.

-الرسائل الجامعية:

1-توفيق جمعات، النفي في النحو العربي منحى وظيفي وتعليمي، (القرآن الكريم عينة)، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

2-جمال محمد النحال، أساليب النفي والتوكيد في الشعر (رثاء شهداء انتفاضة الأقصى)، دراسة وصفية تحليلية، إشراف: محمود محمد العامودي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية النحو والصرف.

3-ثروت السيد عبد العاطي رحيم، ظاهرة النفي في الحديث الشريف بين التوصيف والتنظير (دراسة نحوية في صحيح البخاري)، رسالة ماجستير، إشراف عبد الرحمان السيد، أمين علي السيد، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم النحو والصرف والعروض.

4-خولة درويش الشرعة، النفي الضمني في اللغة العربية، رسالة ماجستير، إشراف حسن خميس الملخ، جامعة آل البيت، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها (2017/2016).

الملاحق

ثلاث كلمات صريحة*...

1 – إلى الأمة:

هذه الحركة العلمية الجليلة القائمة بالقطر الجزائري، هي الأساس المتين للوطنية الحقيقية، وهي التوجيه الصحيح للأمة الجزائرية، فغايتها التي ترمي إليها هي تصحيح القواعد المعنوية من عقل وروح وفكر وذهن، وتقوية المقوّمات الاجتماعية من دين ولغة وفضائل وأخلاق، وتلك وهذه هي الأُسس الثابتة التي بُنيت عليها الوطنيات في الأمم؛ هذه حقيقة لا يماري فيها إلا مكابر أو جاهل.

وهذه الحركة العلمية لم يضع أصولها العملية، ولم ينظّم قوافلها، ولم يحم حماها من كل دسّاس وكل خنّاس، إلا جمعية العلماء، ولا يعلي بناءها ويرفع سمكها في المستقبل إلا جمعية العلماء. وهذه حقيقة أخرى لا يكابر فيها إلا حسود، أو متّبع لهواه، أو مسخَّر للاستعمار.

وهذه الحركة لا تبلغ مداها، ولا تؤتي ثمراتها، ولا تتمخّض عن نهضة ثابتة إلا إذا استندتْ على عمادين قارين من علم وعمل. واعتمدت على سندين قويين من جمعية العلماء والأمة. وهذه حقيقة ثالثة أوضح من الصبح.

فجمعية العلماء والأمة شريكتان متضامنتان في احتضان هذه الحركة، والقيام عليها، والعمل على نمائها، حتى تتشقّق عن نهضة شاملة تفرّع النهضات رسوخًا وتمكّنًا؛ ولا يشترك اثنان في عمل إلا كان العمل بينهما كالطائر لا ينهض إلا بهما، ولا يقصر أحدهما إلا كان الجناح الذي يمثّله مهيضًا. فالواجب على الشريكين أن يقوم كل واحد منهما بقسطه على

* نشرت في العدد 54 من جريدة «البصائر»، 25 أكتوبر سنة 1948.

أكمل وجه، وإلا باء بجريمتين: الإساءة إلى العمل في صميمه، والإساءة إلى الشريك العامل بالفتّ في عضده.

أما جمعية العلماء فقد قامت بقسطها وبرئت إلى الله من تبعة التقصير، وإلى الأمة من خيانة الأمانة؛ وما زالت دائبة في ترقية الحركة، جاهدة في حياطتها بالنظام، تنتقل بها في كل عام من عالٍ إلى أعلى، ومن نافع إلى أنفع، لا تريد من الأمة على ذلك جزاء ولا شكورًا، ولا تبغي منها إلا أن تقوم بقسطها من العمل، وهو بذل الماعون من مال لا تقوم الحركة إلا به، وتصميم لا تتمّ الأعمال إلا به، وإجماع على التعليم لا تخرقه الحزبيات والانتخابات، فهل قامت الأمة بذلك؟ وهل بذلت من مالها ما يكافئ ذلك الجهد الذي بذلته جمعية العلماء؟ يسوء الأمّة أن نقول الحقيقة، ويسوءنا أن نكتمها.

هذا معهد عبد الحميد بن باديس هو الخطوة الثانية إلى النهضة العلمية العتيدة بعد المدارس الابتدائية، ومنزلته منها منزلة من يأخذ ليعطي؛ يأخذ منها المتعلّمين، ويعطيها المعلّمين؛ وقد لقينا في تأسيسه من العقبات المالية ما لم نجتزه إلا بالصبر وتوفيق الله، وقد صفّت اللجنة المالية للمعهد حسابها للسنة الماضية وسينشر فيقرأ القرّاء أن المعهد مدين، وها نحن أولاء في السنة الثانية من إنشائه، وقد حفز نجاح التعليم الأمة وأطربها الحادي، فتضاعف عدد التلاميذ، فتضاعف عدد المدرّسين، فتضاعفت النفقات الشهرية حتى زادت على نصف مليون من الفرنكات. وإن ألزم الضروريات السكنى للمدرّسين والتلامذة، والسكنى عقبة كأداء لا يذللها إلا المال الوفير. وقد اشترينا في الأيام الأخيرة دارًا لسكنى شيخين من شيوخ المعهد، بلغت قيمتها مليونًا ونصف مليون، ووضعنا أيدينا على دار عربية تسع مائة وخمسين تلميذًا، وتبلغ قيمتها ونفقاتها أكثر من خمسة ملايين. ولجنة الإسكان جاهدة في إحضار الأماكن بالكراء أو بالشراء، ومن ورائها ستمائة تلميذ يطلبون السكنى ومن أمامها أصحاب أملاك يطلبون الملايين، ولكن أين الملايين؟

قد بلغنا في الاحتياط أبعدَ حد، وقرأنا لكلّ شيء حسابه قبل أوانه، وكشفنا للأمة عن كل شيء ولكن الأمة لم تقدّر الأمر كما قدّرناه، فقمنا بواجبنا، ولم تقم بواجبها، فاللهمّ اشهد.

لا نُنكر أن عشرات من المدارس العظيمة قد شيّدتها الأمة بعشرات من الملايين تولّت الجمعيات المحلية قبضها وصرفها، ولا نُنكر أن الأمة في أوائل نهضة من شأنها أن تكثر فيها الجمعيات، ويكثر فيها طلاب المال، وأن نتيجة ذلك الإفقار أو الملل، ولكننا نعلم أن من لوازم النهضات يقظة الفكر، وأن من آثار يقظة الفكر التنبّه لتدجيل الدجّالين، والموازنة بين شعب النهضة وتقديم الأهمّ منها على المهم...

* * *

وهذا عدد يناهز مائتين وستين معلمًا وزّعتهم الجمعية على المدارس وعلى المعهد وكلهم جنود منقطعون للعلم، يأتمرون بأوامر الجمعية، وتسعة أعشارهم فارقوا أهليهم وتغرّبوا، ليقوموا بالواجب ويؤدّوا الأمانة وينفعوا الأمة في أجدى الجهات عليها وهي أبناؤها الصغار، ويتحمّلوا التعب وضيق العيش. وقد كانت السكنى هي مشكلة السنين الماضية، فزادت عليها مشكلة غلاء المعاش، وإن الواحد منهم لينفق نفقة مضاعفة: ينفق على نفسه مثل أو أكثر مما ينفق على أسرته. وقد أصبحت المرتبات المقرّرة في الماضي لا تكفي لنصف الضروريات. فهل تقدّر الأمة أن المعلّم ملك لا يأكل ولا يشرب؟!

إن جمعية العلماء تعطف كل العطف على أبنائها المعلّمين، وتعترف لهم بأنهم مغبونون في الناحية المادية، وإنها لا يقرّ لها قرار إلا إذا أصبحت حقوق المعلّمين المادية مكافئة لما يقومون به من واجبات، وإن المجلس الإداري للجمعية قد درس في اجتماعه الأخير هذه المسألة بكل اهتمام وعطف، وقرّر رفع الأجور بحسب الدرجات ابتداء من أول أكتوبر الجاري، وسينشر القرار في منشور خاص مع الدرجات واللوائح والبرنامج، وهي الأعمال التي أنجزتها لجنة خاصة كوّنها المجلس الإداري تحت إشرافه من قدماء المعلّمين وأصحاب الكفاءات وسمّاها «لجنة التعليم العليا» وأسند إليها كل ما يتعلّق بالتعليم توزيعًا للأعمال والمسؤوليات.

والجمعية تحرّض الجمعيات المحلية المتعهدة بمالية المدارس على أن تقوم بتنفيذ ما قرّرته الجمعية في تقدير مرتبات المعلّمين، وعلى أن تبتكر من الوسائل لجمع المال ما يقوم بذلك الواجب، وتحذّرها من الركون إلى عادة قديمة سيّئة، وهي: أن تراخي الجمعيات المحلية وتهاونها وتخاذلها وتقصيرها في العمل، كل ذلك يُحسب على الأمة تقصيرًا في الواجب، وعلى المعلّمين ضياعًا للحقوق؛ وأن هذه العادة هي أم النقائص المخلة بجهازنا التعليمي، وأن الجمعيات المحلية هي الوسيط بين جمعية العلماء ومعلّميها، وبين الأمة، فلتحرص هذه الجمعيات على أن تكون صلة متينة، وواسطة أمينة، ولتؤدِّ الأمانة على أتمّ وجه، ولتكن حازمة في الحق والخير معينة عليهما.

2 – إلى تلامذة الزيتونة والقرويين!...

أنتم – يا أبناءنا – نتاج هذه الحركة العلمية المباركة، وأنتم غلة سنة خضراء بين سنين يابسات، وأنتم الركاز الذي أظهرته هذه الرجة العنيفة التي أيقظت جمعية العلماء أمتكم على دويّها... أفاق آباؤكم من تلك الهزّات، وصكّت آذانهم أصوات تنادي: إلى الإسلام... إلى القرآن... إلى سنّة محمد... إلى لغة العرب... إلى أمجاد السلف... إلى تاريخ الإسلام... إلى العلم... فوجدوا كتائب الأمم المدلجة في طلب العلم قد حمدت السرى،

فأقسموا ليكفرن عن خطيئة النوم والغفلة بكم، وليقدمنكم قُربانًا للعلم، وليمسحنّ بأيديكم الكاتبة آثار الأمية وأوضارها. وهم يودّون – بكل مفروح به – لو يزاد من أعمارهم في أعماركم، فوجّهوكم هذا التوجيه الصادق للعلم، ومهّدوا لكم سبل الهجرة إلى منابعه. وإن منهم لمن يبيع قوتَ العيال ليزوّدكم، ويمتهن الأعزة منهم ليسودكم، وما كانوا قبل جمعية العلماء يوجّهون أبناءهم لمفيد، أو لمحمود من المقاصد سديد.

وأنتم – يا أبناءنا – بواكير نهضة علمية قد أظلّ زمانها، وجاء إبّانها، وظهرت تباشير فجرها الصادق، ولمعت مخايل مُزنها الوادق، والعلم – إن كنتم لا تعلمون – هو أساس الوطنية، وقطب رحاها، ومركز دائرتها، ودليل سيادتها.

لا حق لكم على الوطن، بل الحق كله للوطن عليكم، وإن أوْكد حقوقه عليكم أن تحقّقوا بالعلم مطالبه، وتعمروا بالعلم جوانبه، وتنيروا بالعلم غياهبه.

أعيذكم بالله وبشرف العلم وبأمانة الوطن أن تُنفقوا دقيقة من أوقاتكم – بعد قوام الدين والحياة – في غير الطلب والتحصيل للعلم، والقراءة والمذاكرة في العلم.

وأعيذكم بالله وبشرف العلم أن تعودوا إلى الوطن كما فارقتموه بنصف قارئ وربع قارئ، وعشر قارئ.

وأعيذكم بالله وبشرف العروبة أن تسري إليكم العدوى من ممتهني الوطنية فتمتهنوا العلم، فلقد توهّموا – ضلة – أن الوطن يُخدم بالدعاوى الجوفاء، فحذارِ أن تتوهّموا أن العلم ينال بالدعاوى الجوفاء. كلا... إن الوطنية لعقيلة كرام، لا يساق في مهرها بهرج الكلام؛ وكريمة بيت، لا تنال بلَوْ ولا بِلَيْت. وإن العلم كبير أناس، لا يُصاحب إلا بضبط الأنفاس.

أعيذكم بالله وبشرف الأبوة أن تعقّوا آباءكم ووطنكم وأن تكونوا سخنة عين لهما، فترجعوا بعد طول الغيبة بالخيبة، وصفر العيبة، وأن اللباب من الشباب هم الذين يكونون كفارة وطهرة لوالديهم، لا كفارًا فجرة بأياديهم.

إن طريق العلم محفوف بالعوائق، من مقت يحيق، ووقت يضيق، وإن الأقدار قد وضعت في طريقكم إلى العلم عائقًا جديدًا هو شر العوائق وأضرّها... هو هؤلاء الدعاة الغاشون، والسماسرة المضلّون، يدعونكم إلى السياسة ليصدّوكم عن العلم، وإلى الحزبية ليفرّقوكم من الجماعة، وإلى الوطنية ليشغلوكم باسمها عن حقيقتها، ويلهوكم بلفظها عن تحصيل أقوى وسائلها، وهو العلم؛ إنهم يملأونكم بالخيالات صغارًا، لتفرغوا من الحقائق كبارًا؛ وإنه لنوع من التسميم المرجأ لا يشعر به المصاب إلا بعد فوات الوقت.

العلم... العلم... أيها الشباب لا يلهيكم عنه سمسار أحزاب، ينفخ في ميزاب، ولا داعية انتخاب، في المجامع صخاب، ولا يلفتنكم عنه معلّل بسراب، ولا حاوٍ بجراب، ولا عاوٍ في خراب، يأتم بغراب، ولا يفتّنكم عنه منزوٍ في خنقة، ولا ملتو في زنقة، ولا جالس في ساباط، على بساط، يحاكي فيكم سنّة الله في الأسباط. فكل واحد من هؤلاء مشعوذ خلّاب وساحر كذّاب.

إنكم إن أطعتم هؤلاء الغواة، وانصعتم إلى هؤلاء العواة، خسرتم أنفسكم، وخسركم وطنكم، وستندمون يوم يجني الزارعون ما حصدوا، ولات ساعة ندم...

* * *

3 – إلى أولياء أولئك التلامذة...

لكم الحق – أيها السادة – دينًا وعقلًا وعادة أن توجّهوا أولادكم ما داموا صغارًا حيث تشاءون من وجهات الخير، ما لم يكن في ذلك مأثم أو قطيعة رحم. فإذا بلغوا الرشد تقاضيتموهم برًّا ببر، وإحسانًا بإحسان، فإذا خرجتم في سلطتكم عن حدود الدين، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وهؤلاء التلامذة أبناؤكم وجّهتموهم للعلم واخترتم لهم طريقه، فكان ذلك منكم نهاية البر بهم والنظر لهم؛ وكان في ذلك رضى أنفسكم ورضى الله ورسوله وصالحي المؤمنين، وكان ذلك منكم معدودًا عند المفكّرين في ما يخدم به الرجال أوطانهم، لأن أبناء اليوم هم ذخائر الوطن في المستقبل، وكل ما نزوّدهم به من تربية صالحة، وأخلاق وعلم فهو إعداد وتجنيد وتسليح للوطن.

ولكن ما قولكم – يرحمكم الله – إذا اعترض أبناءكم وهم في طريقهم إلى العلم لصوص يحاولون أن يقطعوا عنهم طريقه، أتسكتون وتقعدون عن نجدتهم؟ وتتركونهم للصوص يعبثون بهم، فتضيع آمالكم وأموالكم، وتخيب نيّاتكم ومقاصدكم؟ أم تهبون سراعًا إلى استخلاصهم من أيدي اللصوص؟

الدين والعقل والعادة، كل هؤلاء يفرض عليكم أن تصونوا أبناءكم وتحفظوهم من هؤلاء اللصوص.

إلا أن لصوص العقول أفتك من لصوص الأموال وأشدّ منهم عبثًا وإفسادًا، وإن اللصوص الذين أعنيهم لصوص عقول يتحكّمون بأبنائكم في مطارح هجرتهم إلى العلم. وفي

مسارح غيبتهم عنكم، فيضلونهم عن سواء السبيل، ويوجّهونهم لغير الجهة التي أردتم، ويأتونهم – كالشيطان – من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ويصدّونهم عن ذكر الله وعن الصلاة وعن العلم إلى أحاديث يزوقونها لهم، تملأ السمع، ولا تملأ العقل؛ ويصرفونهم عن كتب العلم ودروس العلم إلى جرائد حزبية مملوءة بالكذب والنقائص والمهاترات والسباب.

إن هؤلاء اللصوص المأجورين بأموالكم قد نالوا مأربهم في إفساد عقول أبنائكم في غفلة منكم، وصدّوهم عن العلم، وشغلوهم بالسفاسف الحزبية، حتى أصبح المقهى أحبّ إليهم من الجامع، والجريدة أحب إليهم من الكتاب، والمناقشات الحزبية أشهى إليهم من المذاكرات العلمية، وقد فرّقوهم شيعًا وأوزاعًا، بعد أن جمع العلم بين قلوبهم وأفكارهم، وأيسر ما في هذا الداء أنهم يزيّنون لهم عقوقكم، ويهونون عليهم حقوقكم.

إن هؤلاء اللصوص يغدون على أبنائكم ويروحون، ويقعدون لهم بكل صراط، ويتنقلون بهم في الإفساد وتضييع الأوقات وتعطيل المواهب من منزلة إلى منزلة، ومن مرحلة إلى مرحلة، وآخر مرحلة لمن تمّ تسليكه على أيديهم أن يقتلعوه من حلقة الدرس ويبعثوا به من تونس إلى الجزائر داعية انتخاب، وخطيبًا يدعو لذلك الصنف الذي تعرفونه من النوّاب. أفلهذا أرسلتم أبناءكم إلى تونس؟ أم أنتم لا تبصرون؟

أليس من المبكيات أن لا ينجح في شهادة التحصيل من جامع الزيتونة إلا ستة أو سبعة من ألف تلميذ وبضع مئات من أبنائنا؟ وما السبب؟ السبب يرجع بالخصوص إلى هؤلاء اللصوص.

* * *

أيها الآباء – وكلنا آباء – إن جمعية العلماء هي الهيئة الوحيدة التي تحضن حركة التعليم العربي في داخل القطر، تقوم بها وتحوطها وتناضل عنها، وتقوم بأمانة الله في توجيه هذا الجيل للدين والعلم. وهي – بطبيعة عملها – المؤتمنة على عقول الصغار حتى لا تضل ولا تطغى، وعلى عقائدهم حتى لا تفسد ولا تزيغ؛ وإن من أداء الأمانة أن تتقدّم بهذه الحقائق إلى الأمة. كما تقدّمت بالنصائح السالفة إلى التلامذة.

وجمعية العلماء تعتقد أنه لا يتمّ إصلاح التعليم في الداخل إلا إذا تمّ إصلاحه في الخارج، لشدة الاتصال بينهما، ولأن التعليم في الخارج هو الذي يُغذّي التعليم الداخلي بالمعلّمين، ومحال أن ينال التعليم الداخلي خيرًا من معلّمين يتخرّجون من المقاهي، ويحصلون معلوماتهم من الجرائد الحزبية، ويتدرّبون في الميادين الحزبية على السباب،

وتنقص التعليم، والتنكّر للعلم، والترويج للأميّة بتمجيد الأميين والسير في ركابهم والتمسّح بأعتابهم؛ أفيرجى من أمثال هؤلاء المعلّمين خير؟ اللهم لا!...

إن جمعية العلماء مصمّمة على أن تحوط التعليم في الخارج برقابة تمدّها على التلامذة، ونصائح تشتد فيها، ليحذروا أولئك اللصوص، ولينقطعوا إلى العلم، وليضعوا بين أعينهم الواجب الذي ينتظرهم في وطنهم، وهو التعليم.

فأعينوها – أيها الآباء – بقوة تجعل بين أبنائكم وبين أولئك اللصوص رَدْمًا، وما هذه القوة بزبر الحديد، ولكنّها بالإعانة والتأييد، وبالمراقبة والتشديد، وبالوصايا الحازمة للتلامذة أن يعرفوا قيمة ما هاجروا إليه، فيقصروا جهودهم وأوقاتهم عليه.

من مشاكلنا الاجتماعية (3)

أعراس الشيطان*

كنّا نفهم أن الشيطان يطوّف ما يطوّف ثم يأوي إلى قلوب أوليائه، لينفث فيها الشر، ويزيّن لها معصية الله، ويحرّكها إلى الفساد والمنكر، ويذكرها بسننه المنسية لتتوب إليه من إهمالها وإضاعتها؛ وما كنّا نعلم أن للشيطان مرابعَ خاصة لا يبرحها في فصلين من السنة، ومعظمها في «العمالة الوهرانية»، وما ذلك لطيب في هوائها، أو عذوبة في مائها، أو اعتدال في جوّها، فالشيطان غني عن هذا كله، ولا يعبأ بهذا كله، وإنما ذلك للذة يجدها الشيطان في هواها... وسهولة انقياد يجدها في أوليائه بها، وقابلية للتسويل والتزيّن قلّما يجدها في غيرهم من رعاياه؛ وصدق الله العظيم، فإن الشياطين لا تنزَّلُ إلا على كل أفّاك أثيم.

والشيطان حقيقة روحية، لا تدرك بالحواس، ولا تُعرف بالحدود، ولا تُقاس بالموازين البشرية؛ وإنما نعرفه بآثاره في أوليائه، من القابلية للشر والفساد، والاستجابة للمنكر والباطل، والتهوّر في الفسوق والعصيان، والمسارعة إلى المساخط، والعكوف على الضلال، وسرعة التلقّي لوحي الشيطان وتلبيسه، والمحادة لله ورسوله فيما أمرا به أو نهيا عنه.

ويجتمع في مجموع صفاته أنه درب مفتن متمرّس بسلائل آدم، خالي الذرع من الهم إلا بهم، من يوم قال: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين﴾، فهو يتفنّن في تزيين الفواحش لهم، ويعرضها عليهم مزركشة ذات تهاويل، ويضع الأسماء على غير مسمّياتها، ليغرّ بالزركشة ويغري بالاسم، فيضع للأغرار من أتباعه اسم الدين على ما ينقض الدين ويهدمه، واسم الخير على ما يمحو الخير ويعدمه، ويوحي إلى أوليائه بالفواحش مغيّرة العناوين، فيأتونها مبتدرين، ويجترحونها مخلصين، كما يأتي المؤمن القانت فرضَ ربّه، ويستقبل أمره.

* نشرت في العدد 95 من جريدة «البصائر»، 14 نوفمبر سنة 1949.

ولكن يبدو لنا أن الشيطان المكلّف بالعمالة الوهرانية بليد القريحة، جامد الفكر، خامد الذوق، جافي الطبع، كثيف الحسّ، خشن المسّ، بدوي النزعة، وحشي الغريزة، فكلّ ما يأمر به أولياءه وأتباعه فهو من جنس طبعه، سمج غث خال من الجمال والفن والذوق، وقد عهِدنا الشيطان «المتمدن» لطيف الإحساس، فنيّ الذوق، وعهدنا أعماله فنية الأسلوب فاتنة المظهر؛ والفتنة هي سلاح الشيطان الأحدّ، يكسو بها أعماله فيصبي الحلماء، ويستنزل النسّاك إلى مواطن الفتاك؛ أما هذه الأعمال التي نشاهدها من أولياء الشيطان في عمالة وهران فهي سخيفة باردة حيوانية وحشية.

* * *

هذه «الزرد» التي تقام في طول العمالة الوهرانية وعرضها هي أعراس الشيطان وولائمه، وحفلاته ومواسمه، وكلّ ما يقع فيها من البداية إلى النهاية كله رجس من عمل الشيطان، وكلّ داعٍ إليها، أو معين عليها، أو مكثر لسوادها فهو من أعوان الشيطان؛ ألم ترَ إلى ما يركب فيها من فواحش ومحرمات؟ وما يُهتك فيها من أعراض وحرمات؟ كلّ ذلك مما يأمر به الشيطان «البدوي»، وكلّ ذلك مما ذكرنا به القرآن، وبيّن لنا أنه من أمره ووعده، وتزيينه وإغوائه.

كلّما انتصف فصل الربيع من كل سنة تداعى أولياء الشيطان في كل بقعة من هذه العمالة إلى زردة يُقيمونها على وثن معروف من أوثانهم، يسوّله لهم الشيطان وليًّا صالحًا، بل يصوّره لهم إلهًا متصرفًا في الكون، متصرفًا في النفع والضرّ والرزق والأجل بين عباد الله، وقد يكون صاحب القبر رجلًا صالحًا، فما علاقة هذه الزرد بصلاحه؟ وما مكانها في الدين؟ وهل يرضى بها لو كان حيًّا وكان صالحًا الصلاح الشرعي؟ وقد كانت هذه الزرد تقام في أيام الجدوب للاستسقاء غير المشروع، فأصبحت عادة مستحكمة، وشرعة محكمة، وعبادة موقوتة، يتقرّب بها هؤلاء المبتدعة إلى أوثانهم في أوقات الجدوب والغيوث على السواء؛ يدعوهم إليها شيطانهم في النصف الأخير من كل ربيع، فإذا جاء الغيث نسبوه إلى أوثانهم، وإذا كان الجدب نسبوه إلى الله، عكس ما قال الله وحكم؛ ثم إذا جاء الصيف فَاءُوا إلى الأعمال الصيفية مضطرين، فإذا أقبل الخريف عادوا إلى تلك العادة النكراء فأنفقوا فيها كلّ ما جمعوه، وتداينوا بالربا المضاعف بما لا تقوم به ذممهم ولا أموالهم؛ فإذا ثَقُل الدين وألحّ الدائن، باع من يملك قطعة أرض أرضه، وباع من يملك دابة دابته، وتلك هي الغاية التي يعمل لها الشيطانان، شيطان الجن، وشيطان الاستعمار!..

جُلْ ما شئت في عمالة وهران في النصف الأخير من الربيع، والنصف الأول من الخريف، فإنك تسمع في كل سوق أذانًا بزردة، وترى في كل طريق حركة إلى زردة، وركابًا تشد إلى وعدة.

وسرْ ما شئت في جميع الأوقات، وفي جميع طرق المواصلات ترَ القبابَ البيضاء لائحة في جميع الثنايا والآكام ورؤوس الجبال، وسلْ تجد القليل منها منسوبًا إلى معروف من أجداد القبائل، وتجد الأقلّ مجهولًا، والكثرة منسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني. واسأل الحقيقة تجبك عن نفسها بأن الكثير من هذه القباب إنما بناها المعمّرون الأوربيون في أطراف مزارعهم الواسعة، بعد ما عرفوا افتتان هؤلاء المجانين بالقباب، واحترامهم لها، وتقديسهم للشيخ عبد القادر الجيلاني؛ فعلوا ذلك لحماية مزارعهم من السرقة والإتلاف. فكل معمر يَبني قبة أو قبّتين من هذا النوع يأمن على مزارعه السرقة، ويستغني عن الحرّاس ونفقات الحراسة، ثم يترك لهؤلاء العميان – الذين خسروا دينهم ودنياهم – إقامة المواسم عليها في كل سنة، وإنفاق النفقات الطائلة في النذور لها وتعاهدها بالتبييض والإصلاح، وقد يحضر المعمر معهم الزردة، ويشاركهم في ذبح القرابين، ليقولوا عنه إنه محبّ في الأولياء خادم لهم، حتى إذا تمكّن من غرس هذه العقيدة في نفوسهم راغ عليهم نزعًا للأرض من أيديهم، وإجلاء لهم عنها، وبهذه الوسيلة الشيطانية استولى المعمرون على تلك الأراضي الخصبة التي أحالوها إلى جنات، زيادة على الوسائل الكثيرة التي انتزعوا بها الأرض من أهلها.

وكأن هؤلاء القوم يعتقدون أن أرواح الأولياء كالثعابين والحيات، تتخذ من الحجارة المجموعة مقرًّا وملجأً، فكلّما وجدوا حجارة مجموعة اعتقدوا أنها مباءة لولي واتخذوها مزارًا. ولقد مررتُ في إحدى جولاتي في تلك المقاطعة بقطعة أرض موات، كأنها مقبرة أموات، مرصّعة بالحجارة، مغطاة بالسدر والدوم، تحفها قطع متجاورات، غُرست زيتونًا وكرومًا وفواكه شتّى، فكأن تلك القطعة من بينها جنة الرجاز التي تخيّلها أبو العلاء المعرّي في رسالة الغفران؛ فشهدت كل واحدة بصاحبها، ثم مررتُ بعد سنة بتلك القطعة، فدلّني تبدّل الأرض غير الأرض على أن صاحبها الأول قامت قيامته، ووجدت تلك الحجارة قد رُكمت على حافة الطريق، ثم مررت بها مرة أخرى في تلك السنة فإذا تلك الحجارة المركومة قد رشّت بالجير الأبيض، وإذا فيها كوى للبخور والشمع، قلت، سبحان من يحيي قلوبًا ويميت قلوبًا، سبحان من جعل التوحيد مفتاح السعادة في الدارين.

ولقد ماتتْ هذه العوائد الشيطانية قبل الحرب الأخيرة أو كادت تموت، بتأثير الحركة الإصلاحية المطهّرة للعقائد، ثم قضي عليها بتأثّر الناس بالحرب ولأوائها، وقد عادت في السنتين الأخيرتين إلى ما كانت عليه، ودعا داعي الشيطان إليها فأسمع، وكأنّما أذن في

القانتين بصلاة، أو ثوّب في المستطيعين بحجّ، فإذا هم في اليوم الموعود مهطعون إلى الداعي، رجالًا ونساءً وأطفالًا، يُزجون الرواحل، ويسوقون القرابين، ويحملون الأدوات، تراهم فتقول إن القوم صُبِّحوا بغارة، تسيل بهم الطرق، وتغصّ بهم الفجاج، حتى إذا وصلوا إلى الوثن نُصبت الخيام، وسالت الأباطح بالمنكرات والآثام.

وإن لعودة هذه المنكرات لسببًا جديدًا غير العقيدة، فقد ضعفت، وغير المنفعة المادية لدعاة الشيطان، فقد نزرت، وإنما هو تنشيط الحكومة لها، وتحريضها على إحيائها، لأن في بقائها قوّة للاستعمار، ومقاومة للحركة الإصلاحية، وإلهاء لرجال الإصلاح عن البناء والإصلاح، وإنا – إن شاء الله – لهذه المكائد لمتفطنون، وإنا على إحباطها لعاملون، وإنا للحديث عن هذه المخزيات لعائدون.

* * *

يا قومنا، أجيبوا داعي الله، ولا تجيبوا داعيَ الشيطان؛ يا قومنا إن أصول هذه المنكرات مَفسدة للعقيدة، وإن فروعها مُفسدة للعقل والمال، وإنكم مسؤولون عند الله عن جميع ذلك؛ يا قومنا إنكم تنفقون هذه الأموال في حرام وإن الذبائح التي تذبحونها حرام لا يحلّ أكلها، لأنها مما أهل به لغير الله؛ فمن أفتاكم بغير هذا فهو مفتي الشيطان، لا مفتي القرآن.

من مشاكلنا الاجتماعية (4)

الصداق... وهل له حد؟*

من أمراضنا الاجتماعية التي تنشر في أوساطنا الفساد والفتنة، وتُعجّل بها إلى الدمار والفناء – عادةً – المغالاة في المهور، وما يقابلها من المغالاة في الشورة[1]؛ وقد أفضت بنا العوائد السيّئة فيها إلى سلوك سبيل منحرف عمّا تقتضيه الحكمة، وعما تقتضيه المصلحة، وهو تنزّل الأغنياء للفقراء رفقًا بهم، وتيسيرًا عليهم، فأصبح الفقراء يتطاولون إلى مراتب الأغنياء ويقلدونهم، تشبّهًا بهم، ومجاراة لهم، والضعيف إذا جارى القوي انبتّ فهلك.

وقد كانت هذه القضية – وما زالت – أهمّ ما تضمنه منهاجنا في الإصلاح الاجتماعي، فعالجناها بالترغيب والترهيب، وبيان ما تقتضيه الحكمة الشرعية، وما يقتضيه الحكم الشرعي: تناولناها في الخطب الجمعية، وفي دروس التفسير والحديث، وفي المحاضرات العامة، وفي المقالات المكتوبة؛ وحملنا الحملات الصادقة على العوائد التي لابستها فأفسدتها، حتى صيّرت الزواج الذي هو ركن الحياة، أعسر شيء في الحياة، وبيّنا بالشواهد الواقعية ما تجرّه هذه الحالة على الأمة – إذا تمادت – من وخامة العاقبة وسوء المصير، ولكن أعمالنا في هذه القضية لا تظهر نتائجها الكاملة إلا في جيل يكون أقوى إرادة من هذا الجيل الذي ملكت العوائد عليه أمره، فأعمته عن مصالحه، وأفسدت عليه دينه ودنياه؛ وإن المرأة لنعم العون في هذا الباب، وما دام عقل المرأة لم يرتق إلى معرفة الحقائق، وتبين وجوه المصالح، فإن أملنا في إصلاح هذه الحالة ضعيف والمرأة هي نصفنا «الضعيف القوي» شئنا أو أبينا.

وقد حاول بعض أهل الشعور الحي نوعًا من التطبيق العملي لإصلاح هذه القضية، في منطقة مخصوصة تجمعها وحدة قبلية، فحدّدوا للمهر مبلغًا يستوي فيه الفقير والغني، بلا

---

* نشرت في العدد 123 من جريدة «البصائر»، 12 جوان سنة 1950.

1) الشُّورة: ما تُجَهَّز به العروس من ثياب وأثاث.

نقص فيه، ولا زيادة عليه، ولكنهم غفلوا عن أمرين: الأول أنهم مهما هبطوا بالمبلغ المحدود فإن في الفقراء من لا تصل قدرته إليه، فيصبح هذا التحديد إرهاقًا له وتعنيتًا، والثاني إن إصلاحًا مثل هذا لا يتم إلا إذا سبقه إصلاح في الأخلاق، وإصلاح في التربية، وتقوية للوازع الديني في النفوس، حتى يتغلّب على العوائد المستحكمة؛ ولو أنهم وضعوا حدًّا أعلى للأغنياء بعد إقناعهم بالتزامه، وتركوا للفقراء مجالًا واسعًا يبتدئ من الواحد وينتهي إلى العشرة مثلًا، ليقف كل فقير عند الدرجة التي تنتهي إليها قدرته، ولو أنهم فعلوا ذلك لكان خيرًا وأحسن تأويلًا، ولكان أقرب إلى النظرة العمرية في إيقاف المغالاة عند حد.

وقد سُئلنا أن نكتب كلمة في هذا الموضوع تبيّن الحكم الشرعي على وجهه وتجلي الحكمة الشرعية على حقيقتها، فكتبنا هذه الكلمة في بيان الحكم العام، في الحالة العامة، ولم نوجّهها إلى جماعة خاصة، وإنما وجّهناها إلى الأمة كلها لأن مرضها واحد، ولأننا نراعي في أعمالنا – إن شاء الله – الفائدة العامة.

* * *

الصداق نحلة شرعية مشروطة في عقدة النكاح، يعجلها الزوج للزوجة أو يعمر بها ذمّته إلى أجل؛ ولا نقول ما يقوله الفقهاء المسارعون إلى التعليلات السطحية التي لا تتفق مع الحكمة: إن الصداق عوض عن البضع أو ثمن له؛ فإن هذا التعليل يدخل بهذه العلاقة الشريفة في باب البيع والشراء والمعاوضات المادية؛ وحاشا لهذه الصلة الجليلة التي هي سبب بقاء النوع الإنساني أن تكون كصلة الثوب بمشتريه، أو صلة المتاع بمقتنيه! بل إن معناها أعلى وأجلّ؛ إنها إكرام من الرجل القوام، للمرأة الضعيفة، ووصلة بين قلبيهما، وتوثيق لعرى المحبّة بينهما، وتأنيس يسبق العشرة المستأنفة، وبريد يحمل البشرى بالقرب؛ فإذا أدخلناها في باب الأثمان والقيم لم يبقَ إلا أن نسمّي الزوجة بائعة، والزوج مشتريًا، والخاطب سمسارًا؛ وإننا نتلمّح من الحكمة الإلهية العليا العامة في الجنس كله أن الصداق في الإسلام جبر لما نقص المرأة من الميراث، فمن عدل الله أن نقص لها في ناحية، وزادها في ناحية، وكرمها فأعفاها من تكاليف النفقة في أطوارها الثلاثة، بنتًا وزوجًا وأمًّا؛ وهذه هي الحكمة التي ندمغ بها الطاعنين في الإسلام، الهازئين بأحكامه، المتعامين عن حِكَمه.

وليس للصداق في أصل الشريعة ونصوصها القطعية، وتطبيقاتها العملية، حد منصوص يوقف عنده لا في القلة ولا في الكثرة، وإنما هو موكول إلى أحوالهم في العسرة واليسرة، وطبقاتهم في الغنى والفقر، ولو كان له حد منصوص في القلة لما اختلف الأئمة في حدّه الأدنى، فقال مالك ثلاثة دراهم أو رُبع دينار؛ وقال أبو حنيفة عشرة دراهم؛ وقال غيرهما

خمسة؛ ولما اختلفت مداركهم في المقيس عليه ما هو؟ أهو ما يجب فيه القطع في السرقة؟ أم ما تجب فيه الزكاة في رأي بعض أئمة المالكية؟ وإن كان القياس في الرأيين واهيًا لخفاء أو لبعد العلة الجامعة بين المقيس وبين المقيس عليه.

ولو كان له حد منصوص في الكثرة لوقف عنده عمر، ولم يعزم على تحديده، وإن كانت الروايات لا تفيد أنه عزم على التحديد، وإنما نهى عن المغالاة فيه، فرواية أصحاب السنن لقول عمر: لا تغالوا في صدُقات النساء؛ وأن امرأة قالت له: ليس ذلك لك يا عمر، إن الله تعالى يقول: وآتيتم إحداهن قنطارًا من الذهب (وهذا الحرف من قراءة ابن مسعود)، وأن عمر قال: امرأة أصابت، ورجل أخطأ.

فتسليم عمر للمرأة يدلّ على أنه لا حد للأكثر، وهو الحق، وهو الواقع ونهيه عن المغالاة سداد ونظر بالمصلحة، وتأديب للمغالين، وعمر خليفة مصلح حريص على حمل الأمة على القصد في كل شيء، وعلى عدم الاندفاع في التطوّر، وقد فاضت الأموال في عهده من الفيوء والمغانم؛ والمال المفاجئ عامل من عوامل سرعة التطوّر ومجاوزة حدود القصد؛ ومن نظر في وصاياه لعتبة بن غزوان في تخطيط البصرة، شهد ببعد نظره في بناء الأمة على أساس متين، ومن تأمّل نهيه عن المغالاة في الصداق، وعزمه على إلزام المطلق ثلاثًا في اللفظ، علم حرصه على أخلاق الأمة أن يدركها التحلّل والانهيار؛ وإنه لا يعزم تلك العزائم إلا حين يرى الناس تتايعوا[2] في أمر كانت لهم فيه أناة، كما قال هو في قضية الثلاث، ولله در عمر!

* * *

نرجع إلى الشواهد العلمية من فعل النبي ﷺ، وعمل أصحابه رضي الله عنهم، نجدها لا تدل على تحديد في الأدنى ولا في الأعلى، فهذا رسول الله ﷺ أصدقَ نساءَه كما في الصحيح اثنتَيْ عشرة أوقية ونشًّا، والأوقية أربعون درهمًا، والنش نصف الأوقية، فتلك خمسمائة درهم، وتزوّج عبد الرحمن بن عوف على نواة من ذهب، وأخبر النبي ﷺ بذلك فأقرّه، والنواة وزن معروف عندهم، قالوا في تفسيره إنه ربع النش، فهو خمسة دراهم.

وفي حديث الواهبة نفسها لرسول الله أنه قال لخاطبها: التمس ولو خاتمًا من حديد ثم زوّجه إياها بما معه من القرآن، يعني بأجرة تعليمها سورًا من القرآن سمّاهنّ.

2) التتابع بالياء المثناة معناه في المحسات السقوط وعدم التماسك.

أما خمسة الدراهم، وخمسمائة درهم، فهي مال معدود، ولكنه لا يقتضي التحديد للأقل ولا للأكثر، وأما أجرة التعليم فهي مال، ولكنه مجهول في قضية الواهبة، وأما خاتم الحديد فليس بذي بال، وكيفما قدّرت قيمته كانت أقلّ مما جعله الأئمة حدًّا أدنى، ورأيُنا فيه، وفهمنا لحكمته أنه رمز نبوي بعيد المغزى، عالي الإشارة، إلى أن ما يفتتن به الناس بمقتضى طبيعتهم من اعتبار المال في الزواج ليس مقصدًا شرعيًّا، وإن أحقر شيء مما يُسمّى مالًا كافٍ فيه؛ أما القصد الحكيم فهو من وراء ذلك: هو في الإحصان، وقمع الغرائز الحيوانية، وسكون القلب إلى القلب، وتحقيق حكمة الله في التناسل وتسلسل النوع، إلى غير ذلك من الحكم التي ليس منها المال، وإنما المال هنا جاذب مادي موصل يسدّ رغبة سطحية؛ وما أغلى صداق الواهبة في حكم العقل، إذ سيق إليها علمًا بسور من القرآن يزكيها، لا دراهم معدودة يُفنيها إنفاق يوم أو يومين، ولو وجد ذلك الخاطب خاتمًا من حديد فأصدقها إياه لانتقلت الحكمة إلى باب آخر، وهو إنزال الناس منازلهم في الفقر والغنى بحيث يتزوّج كل واحد بما يملك.

وقضية الواهبة – على كل حال – قضية عين، لا تقوم بها حجة، زيادة عن كونها خرجت مخرج التفسير، في أسلوب بليغ من التعبير، ومعتاد في كلام من أوتي جوامع الكلم، كقوله في أحاديث الحث على الصدقة: «ولو بظلف محرق» «ولو بفِرْسِنِ شاة» «ولو بشق تمرة».

هذا ولا ننسى أننا نستروح من كلمة الطَّوْل الذي جعله الله موجبًا للانتقال من نكاح الحرائر إلى نكاح الإماء، أن الصداق مال له بال بالنسبة إلى أحوال الرجال.

* * *

والخلاصة أن الشريعة المطّهرة الحكيمة لم تحدّد في الصداق حدًّا أدنى، ولا حدًّا أعلى، لأن الناس طبقات، فقراء وأغنياء وبين ذلك؛ فإذا انساقوا بالفطرة القويمة، والشريعة الحكيمة، وجروا على منازلهم في المجتمع، صلح أمرهم واستقامت لهم الحياة؛ وإذا زاغوا عن الفطرة، وحادوا عن الشريعة، وخرجت كل طبقة عن مداها المقدّر لها، هلكوا وشقوا.

والدين إنما يخاطب المؤمنين به، المتّبعين لأحكامه، المتأدبين بآدابه، الواقفين عند حدوده، فإذا ترك الأمر مطلقًا كالصداق فإنما يفعل ذلك اعتمادًا على إيمانهم وأمانتهم، وعرفانهم لما تقتضيه مصلحتهم، واعتبارهم للحِكَم قبل الأحكام.

وإذا صلح المجموع وكان بهذه المنزلة من فهم الدين ومعرفة مقاصده العامة، فبعيد أن يتورّط في العسر والإرهاق والحرج، وبعيد أن يتطاول الفقير إلى منزلة الغني فيقع الفساد في الأرض.

والدين مع هذا الإطلاق في الصداق، قد ندب الناس إلى التيسير، ونهاهم عن التشديد والتعسير، في الزواج والمهر، حتى تتيسّر إقامة هذه السنّة الفطرية على جميع الناس.

نحن لا نبدّل أحكام الله، ولا نقول بتحديد الصداق، ولكننا نقول ونكرّر القول: إن المغالاة في المهور أفضت بنا إلى مفسدة عظيمة، وهي كساد بناتنا وإعراض أبنائنا عن الزواج، واندفاعهم في رذائل يعين عليها الزمان والشيطان؛ فعلى المسلمين أن يذلّلوا هذه العقبات الواقعة في طريق زواج بناتهم وأبنائهم، وأن يقتلوا هذه العوائد الفاسدة المفسدة، وأن ييسّروا ولا يعسروا وأن يعتبروا في الزواج حسن الأخلاق، لا وفرة الصداق، وفي الزوجة الدين المتين، لا الجهاز الثمين.

ذكرى 8 ماي*

– 1 –

ذكـراك يـا يـوم تـحـزّ في الأحـشـا
إذا أقـبـل الـقـوم وحـش تـلا وحـشـا

* * *

يـا يـوم لـم تـشـرق شـمـس عـلـى مـثـلـك
أل الـضـحـى مُـغـرق والـمـلـتـجَـى مُـهـلـك

* * *

ذكـراك يـا يـوم لا تـأتَـلـي حـومـا
تـعـتـاد في الـنـوم فـتـطـرد الـنـومـا

* * *

رِيـع الـحـمـى فـيـكـا والأهـل في غـفـلـه
لـم يُـعـف عـافـيـكـا طـفـلًا ولا طـفـلـه

* * *

فـيـك اعـتـرت لـمـه رهـطًـا مـن الـشُّـمـس
فـقـتـلـوا أمّـه أحـيـتـهـم أمـس

* * *

سـاقـت لـهـم نـصـرًا جـازَوْه بالـكـسـر

* نشرت في العدد 119 من جريدة «البصائر»، 15 ماي 1950.

كـمـن فـدى الأسـرَى فـبـات في الأسـر

* * *

لـهـفـي عـلـى هـاوٍ عـلـى شـفـا الـعـمـر
قـد تـلّـه غـاوٍ فـخـرّ لـلـصـدر

* * *

لـهـفـي عـلـى مـرضَـع قـد عُـفِّـرت أُمُّـه
مـا خـب أو أوضـع إلا الـشـقـا أَمَّـه

* * *

الـشـعـب مـسّـتـه فـيـك الـيـد الـعَـسـرا
أضـحـى فـمـسـتّـه بالـضـرّ والـعُـسـرى

* * *

يـا يـوم، ذكـراكـا لـم تـبـرح الـبـالا
لـو طـاف مـسـراكـا بالـلـيـث مـا صـالا

* * *

زرعـت أحـسـاكـا مـنـبـتـهـا الـصـدر
فـكـيـف نـنـسـاكـا إنّـا إذن غـدر

ذكرى 8 ماي*

– 2 –

يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرّز الحواشي بالدماء المطلولة، مقشعرّ الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء؛ خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة ولا نور، وخرج شهره عن طاعة الربيع فلا ثمر ولا نوْر، وغبنت حقيقته عند الأقلام فلا تصوير ولا تدوين.

* * *

يوم ليس بالغريب عن (رزنامة) الاستعمار الإفرنسي بهذا الوطن، فكم له من أيام مثله، ولكن الغريب فيه أن يُجعل – عن قصد – ختامًا لكتاب الحرب، ممن أنهكتهم الحرب على من قاسمهم لأواءها، وأعانهم على إحراز النصر فيها؛ ولو كان هذا اليوم في أوائل الحرب لوجدنا من يقول: إنه تجربة، كما يجرّب الجبان القوي سيفه في الضعيف الأعزل.

* * *

إثنان قد خلقا لمشأمة الاستعمار والحرب؛ ولحكمة ما كانا سليلي أبوّة، لا يتم أولهما إلا بثانيهما، ولا يكون ثانيهما إلا وسيلة لأوّلهما؛ وقد تلاقت يداهما الآثمتان في هذا اليوم في هذا الوطن، هذا مودع إلى ميعاد، فقعقعة السلاح تحيّته، وذلك مزمع أن يقيم إلى غير ميعاد، فجثث القتلى من هذه الأمّة ضحيته.

* * *

* نشرت في العدد 35 من جريدة «البصائر»، 10 ماي 1948.

تستحسن العقول قتل القاتل، وتؤيّدها الشرائع فتحكم بقتل القاتل؛ ولكن الاستعمار العاتي يتحدّى العقول لأنه عدوّها، والشرائع لأنها عدوّه، فلا يقوم إلا على قتل غير القاتل... ويغلو في التألّه الطاغي، فيتحدّى خالق العقول، ومنزل الشرائع، وينسخ حكم الله بحكمه، ورحمة الله بقسوته، فيقتل الشيوخ والزمنى والنساء والأطفال.

أين النعمان بن المنذر ويوماه من الاستعمار وأيامه؟ كان للمنذر يومان: يوم بؤس ويوم نُعمى، وبينهما مجال واسع للبخت، وملعب فسيح للحظ، فإذا طار طائر النحس في أحد يوميه وقع على حائن أتت به رجلاه، أو محدود لم يلتق مع السعد في طريق، أما الاستعمار فأيامه كلها نحسات، بل دهره، كله يوم نحس مستمر، مُحيت الفواصل بين أيامه ولياليه، فكلّها سود حوالك، يطير طائر النحس منها فلا يقع إلا على أمم آمنة مطمئنة؛ وأين قتلى ضمختْ دماؤها الغريين[1]، من قتلى ضمخت دماؤها أديم الأرض، وخالطت البحار حتى ماء البحار أشكل.

* * *

أمة كالأمم حلّت بها ويلات الحرب كما حلّت بغيرها، وذاقت لباس الجوع والعري والخوف، وتحيّفت الحرب أقواتها وأموالها، وجرّعت الثكل أمهاتها واليتم أطفالها، وأكلت شبابها، وقطعت أسبابها، وصليت نار الحرب ولم تكن من جُناتها، وقدمت من ثمن النصر مئات الألوف من أبنائها قاتلوا لغير غاية، وقتلوا من غير شرف؛ في حين كانت الأمم تقتتل على الملك، والملك مجد وسيادة، وعلى الحرية، والحرية حياة وعزة؛ أما هذه الأمة فكانت تقاتل لخيال من أمل، وذَماء من حياة، وصبابة من رجاء، وخُلب من وعد علا نداؤه، وتجاوبت في الخافقين أصداؤه، من ديمقراطية زائفة كذبَ نبيّها مرتين[2] في جيل واحد، فلما سكن الإعصار وتنفّست الأمم في جوّ من السلم، وتهيأت كل أمة أن تستقبل بقايا النار من شبابها، وكلّ أم أن تعانق وحيدها، عاودت الاستعمار ألوهيته وحيوانيته في لحظة واحدة، يحادّ الله بتلك، ويغتال عباده بهذه، وعاد بالتقتيل على من كانوا بالأمس يمدّون حياته بحياتهم، ليريهم مبلغ الصدق في تلك الوعود، ويحدّثهم بلغة الدم ومنطق الأشلاء أنه إنما أقام سوق الحرب ليشتري حياته بموتهم، وليرمّم جداره بهدم ديارهم، فإذا بقي منهم كلب بالوصيد، أو من ديارهم قائم غير حصيد، قضى ذلك المنطق فيه بالإبادة والمحو، وجعل أيامه خاتمة لأيام الدم والحديد، وعطَفه على عدوّ الأمس المشترك عطفًا

1) الغريان: بناءان قرب الكوفة كان النعمان يلطخهما بدماء قتلاه.
2) نبيُّها: هو الولايات المتحدة الأمريكية. مرّتين: إشارة إلى وعود أمريكا في الحربين العالميتين.

بالفاء لا بثم؛ وكذلك كان، فقد فتح الناس أعينهم في يوم واحد على بشائر تدقّ بالنصر، وعلى عشائر من «المنتصرين» تُساق للنحر؛ وفتحوا آذانهم على مدافع للتبشير، وأخرى للتدمير؛ وعلى أخبار تؤذن بأن الدماء رقأت في العالم كله، وأخرى تقول: إن الدماء أريقت في جزء صغير من العالم، هو تلك القرى المنكوبة من مقاطعة قسنطينة. وفي لحظة واحدة تسامع العالم بأن الحرب انتهت مساء أمس ببرلين، وابتدأت صباح اليوم بالجزائر، وفيما بين خطرة البرق، بين الغرب والشرق، أعلنت حرب من طرف واحد، وانجلت في بضعة أيام عن ألوف من القتلى العزّل الضعفاء، وإحراق قرى وتدمير مساكن، واستباحة حُرُمات ونهب أموال؛ وما تبع ذلك من تغريم وسجن واعتقال؛ ذلكم هو يوم 8 ماي.

ومن يكون البادئ يا ترى؟ آلضَّعيف الأعزل، أم القوي المسلّح؟

* * *

لكَ الويل أيها الاستعمار! أهذا جزاء من استنجدته في ساعة العسرة فأنجدكَ، واستصرخته حين أيقنتَ بالعدم فأوجدك؟ أهذا جزاء من كان يسهر وأبناؤك نيام، ويجوع أهله وأهلك بطان، ويثبت في العواصف التي تطير فيها نفوس أبنائك شَعاعًا؟ أيشرّفك أن ينقلب الجزائري من ميدان القتال إلى أهله بعد أن شاركك في النصر لا في الغنيمة ولعلّ فرحه بانتصارك مساوٍ لفرحه بالسلامة، فيجد الأب قتيلًا، والأم مجنونة من الفزع، والدار مهدومة أو محرقة، والغلة متلفة، والعرض منتهكًا، والمال نهبًا مقسمًا، والصغار هائمين في العراء؟

* * *

يا يوم! ... لله دماء بريئة أُريقت فيك، ولله أعراض طاهرة انتُهكت فيك، ولله أموال محترمة استُبيحت فيك، ولله يتامى فقدوا العائل الكافي فيك، ولله أيامى فقدن بعولتهن فيك، ثم كان من لئيم المكر بهنّ أن مُنعن من الإرث والتزوّج، ولله صُبابة أموال أبقتها يد العائثين، وحُبست فلم تُقسم على الوارثين.

* * *

يا يوم! ... لك في نفوسنا السمة التي لا تمحى، والذكرى التي لا تُنسى، فكنْ من أية سنة شئت فأنت يوم 8 ماي وكفى. وكل ما لك علينا من دَين أن نُحيي ذكراك؛ وكل ما علينا لك من واجب أن ندوّن تاريخك في الطروس لئلا يمسحه النسيان من النفوس.

لجنة «فرانس - إسلام»*

— 1 —

(كلامنا موجّه إلى فرنسا الاستعمارية، وإلى آلات الاستعمار من عقول، وأفكار، ورجال، وهيئات؛ فلا تتجاوز الظنون بنا هذه الدائرة).

كلمتان أكرهتا على الجوار في اللفظ والكتابة، فجاءت كل واحدة منهما ناشزة على صاحبتها، نابية عن موضعها منها، لأنهما وقعتا في تركيب لا تعرفه العربية، ولا يقبله الذوق العربي.

في العربية تركيب الإسناد، والإسلام لا يرضى أن يُسند إلى فرنسا الاستعمارية، ولا أن تُسند هي إليه؛ وفي العربية التركيب الإضافي، والإسلام لا يسمح أن يضاف إلى فرنسا، ولا أن تضاف هي إليه؛ وفي العربية التركيب الوصفي، والإسلام لا يقبل أن يوصف بالفرنسي ولا أن توصف فرنسا بـ «الإسلامية»؛ وفي العربية التركيب المزجي، والإسلام وفرنسا كالزيت والماء، لا يمتزجان إلا في لحظة التحريك العنيف، ثم يعود كلّ منهما إلى سنّته من المباينة والمنافرة؛ وفي الشرائع الاستعمارية الفرنسية بالجزائر مذهب كانوا يسمّون جانبه التأثيري «الإدماج» وجانبه التأثّري «الاندماج» ومعناه قريب من معنى التركيب المزجي، ولكن هذا المذهب التحق بالمذاهب البائدة التي ولدها العتوّ عن أمر الله والعلو في أرض الله، فتلك آراؤه سخرية الساخر، وأولئك رجاله لعنة الأول والآخر، فهل هذه اللجنة تناسُخ لذلك المذهب غير المرحوم؟ وهل رجالها نُسخ من ذلك الطراز المعلوم؟

إننا لا نفهم من هاتين الكلمتين إلا ما نفهمه من كلمتَي «خير – شر» إذا وُضعتا في حيّز كهذا، لكلٍّ معنى إفرادي جزئي، وليس لهما معنى تركيبي كلي؛ فإن كنّا مخطئين فالذنب

* نشرت في العدد 114 من جريدة «البصائر»، 3 أفريل سنة 1950.

لاختلاف المعنيين، ولاختلاف الطبيعتين، ولاختلاف المزاجين وللبعد السحيق في أذهاننا بين معنى «فرنسا» وبين معنى «الإسلام». أما المعنى الذي نفهمه ولا نخطئ في فهمه فهو يتوقّف على كلمة محذوفة بين الكلمتين؛ وتقديرها هكذا: فرنسا الاستعمارية – عدو – الإسلام، والحذف من مذاهب لغتنا، وحذف ما يعلم جائز...

نعم... نعم إن فرنسا الاستعمارية عدوّ الإسلام في ماضيها كله، وفي حاضرها، فلم يكتب تاريخها أنها جاورته فأحسنت، أو قدرت عليه فعفت، أو عاملته فصدقت، أو حكمت أهله فعدلت؛ ودلّ الواقع المشهود على أنه لم يجنِ منها إلا الكيد له بعيدًا، والإضرار به قريبًا، والعمل على محوه في جميع الحالات؛ ويجري علينا حكم المجانين إذا تصوّرنا أن حاضرها في هذا يخالف ماضيها، أو أن آتيها يكون خيرًا من حاضرها؛ لأن ما نقوله عنها صيّره الاستعمار ذاتيًا فيها، والذاتيات لا تتخلّف، ومنطق الذاتيات لا ينقض.

وما دام هذا هو حظ الكلمتين من فهمنا، فما هو حظ اللجنة من تقديرنا؟ وما هو حظ أعمالها في اعتبارنا؟

* * *

نحن نعد هذه اللجنة «تدجيلة» جديدة في السياسة الفرنسية الاستعمارية تفتّق عنها ذهن مستشرق «حكومي»[1] من الذين يجعلون الاستشراق ذريعة لاستهواء الشرقيين المفتونين بالغرب، الخاضعة عقولهم وأفكارهم لعقوله وأفكاره، وأنا أسمي ثلة من هؤلاء المستشرقين «حكوميين» تسمية صادقة أصدر فيها عن روية وتثبّت، فما هم إلا أذناب لحكوماتهم، وما هم إلا موظفون أو مستشارون حكوميون، وما هم إلا «تراجمة» للحكومات الاستعمارية وأدلاء، يترجمون لها معاني الشرق، ويدلّونها على المداخل إلى نفوس أبنائه وإلى استغلال أوطانه، وما هم إلا آلات في أيدي وزارات الخارجية، تستعملها لإبطال حق الشرق، وإحقاق باطله، ولبقاء الأمم الضعيفة في الاستعباد، أو إرجاعها إلى الاستعباد.

فالاستشراق في هؤلاء عند الحكومات الاستعمارية معناه معرفة مداخل أوطان الشرق، ودخائل أبناء الشرق، وابتكار الوسائل لاستعمار العقول أولًا والأوطان ثانيًا، فهم روّاد عقليون قبل القوّاد العسكريين: ولذلك نرى هؤلاء المستشرقين الحكوميين يبنون أمرهم في الشهرة بين الشرقيين على الأبحاث العلمية الخالصة، ويغطون ضراوة الحجاج بطراوة «الحلاج»؛ فإذا طارت الشهرة في الآفاق، ووقع على الثقة بهم الإصفاق، أصبحوا سهامًا

1) هو المستشرق لوي ماسينيون.

نافذة لدولهم في جنب الشرق، وأدلاء بارعين على عورات الشرق، ومن هذه الطائفة صاحب فكرة «فرانس – إسلام».

من الطبيعي أن تكون أذهان هؤلاء المستشرقين المأجورين منصرفة إلى الاختراع كأذهان الكيماويين والميكانيكيين، وأن تكون هممهم متوجّهة إلى الاكتشاف كهمم الروّاد والفلكيين، ولكن هل يُكتب الخلودُ ورفع الذكر لمن اكتشف «وقف أبي مدين» في القدس كما كتبا لمن اكتشف أميركا ورأس الرجاء الصالح في الأرض، أو لمن اكتشف كواكب المجرّة في السماء؟

إن هذا الصنف من المستشرقين هم الذين سخّروا العلم للسياسة، وهم الذين رضوا للعلم بالامتهان، وهم الذين لم يعتصموا بالاستقلال العلمي، فعصفت بهم الأهواء، فأصبحوا مبشّرين بالاستعمار، داعين إلى ضلاله، فهم غيرُ أهل لاحترام العالم العلمي وإجلاله، وهم – من منازل الاعتبار – في المنزلة الدنيا بين ذوي الوظائف السياسية الرسمية، ولست أدري لماذا قوّتوا على أنفسهم أبّهة الوظيفة ومظاهرها؟...

* * *

كوّن هذا المستشرق لجنته في فرنسا التي هي أحد طرفي الاسم، وأوحى إلى المغرورين به في شمال أفريقيا ما أوحى، فإذا الدعاية قائمة، وإذا الاسم دائر على الألسنة، ولكن الأغراض غير محددة ولا مفهومة. وانتظر الناس الأعمال التي تفسّر المقاصد، والمقدّمات التي تشعر بالنتائج، فكانت المقدمات أحاديث ومناشير وبرقيات عن فلسطين، وعن قضية المشرّدين، وعن وقف أبي مدين (الجزائري) ثم انتقلت إلى «تدويل القدس»؛ وهنا فهم مَن لم يكن يفهم، وضاع الفهم ممن كان فاهمًا؛ أهذه «شكشوشة»[2] أديان؟ فلماذا – إذن – ذكرت فرنسا في الاسم ولم تذكر المسيحية؟

* * *

ولم نجد في التاريخ قديمه وحديثه عالمًا غير مسلم حذق العربية فهمًا، وأتقنها حفظًا، وغاص على أسرارها، ولابست روحه روحها، ثم لم تهده إلى حقائق الإسلام، ولم تقف به على بابه؛ وأقلّ المراتب التي يضعه علمه الكامل بالعربية فيها أن يكون فيه صغو إلى الإسلام، وسير في اتجاهه، وتفتّح ذهن إلى فهمه، وبشاشة نفس مع أبنائه، كأنه يُحسّ أنه

2) شكشوكة: معناها خَليط. وأصلها أكلة تُصنع من خليط من الخُضَر.

بمقربة منهم، وأن بينهم وبينه رحمًا واصلة، ونسبًا جامعًا، وقد امتحنا هذا الأصل فيمن عرفناه – بخبره أو أثره – من المستشرقين الفرنسيين الذين يأتوننا موظفين، أو تجّار «استشراق» فوجدناهم شذوذًا في القاعدة، فعلمنا أن ضعف تلك العاطفة فيهم آتٍ من ضعف نصيبهم من العربية، والحقيقة هي تلك...

وما كنا نظنّ أن مستشرقًا ما من هؤلاء يستخفّنا برقاه، أو يسترهبنا بسحره، لأننا عرفناهم بسيماهم، وعرفناهم في لحن القول، فساء ظننا بهم تبعًا لسوء ظننا بالاستعمار الذي جعلهم جوارح لصيده، ووسائل لكيده؛ ما كنا نتوهّم ذلك حتى جاء المستشرق صاحب فكرة «فرانس – إسلام» وقعقع الشنّ، فخيّب الظن.

موجة جديدة*

موجة جديدة من الاستياء غمرت العقلاء العارفين بما وراء الأكمة، سببتها هذه الموجة الجديدة في راديو الجزائر التي تستعد الحكومة لإنشائها خاصة باللغة البربرية (القبائلية).

ما كنا نتوقع حين نشرنا افتتاحية العدد الماضي أن الحماقة تبلغ بالاستعمار المسيِّر للإذاعة الجزائرية إلى هذا الحد؛ وما كنا نظن أن هناك دركةً أخرى من السماجة أحط مما ظهر به الاستعمار في أصل الإذاعة باللغة القبائلية، حتى سمعنا ممن سمع ذلك الراديو أنه أعلن عزمه على تخصيص موجة للغة القبائلية، كاملة الأدوات ببرنامجها، ومحاضريها، ومخبريها وموسيقاها وقرائها؛ ولا ندري هل القرآن الذي يتلونه، يتلونه باللغة العربية أو باللغة القبائلية؟ ولا نستغرب أن يتهوّر هذا (الراديو) يومًا ما في ضلالة جديدة فيتلو للقبائل قرآنًا جديدًا بالقبائلية، إذْ لم يبق لِمَنْ جانب الحِكْمةَ إلا هذا النوع من أنواع السفه العقلي، ولو فعل لما عدم من يفتيه ويزين له. وإنما المشكلة في من يضع هذا القرآن أو يترجمه بالقبائلية؛ وإذاعة القرآن في الموجة القبائلية هدم للغرض الاستعماري الخبيث ونقض له من أساسه وصفعة يتلقاها قفا الاستعمار من كف الاستعمار؛ وإن الهوى ليعمي ويصم.

ولعل القراء يعجبون لإعادتنا الحديث في هذه المسألة إذ يتوهمون انها ليست بهذه المكانة من الأهمية؛ وإن أمرَ هذه المسألة لأعظم مما يتوهمون؛ إنها فرع من شجرة خبيثة غرسها الإستعمار بيده وتعهدها بالعناية والتربية؛ واسمها الحقيقي «التفريق بين الأخوين العرب والبربر».

---

* نشرت في العدد 42 من جريدة «البصائر»، 5 جويلية سنة 1948.

ومن فروع هذه الشجرة الخبيثة الظهير البربري المشهور.

ومن فروعها ما سارت عليه حكومة الجزائر منذ قرن في وطن زواوة من تخصيص بقوانين وأحكام إدارية وقضائية، وتقوية النظام العشائري فيه، وإبعاده بالتدريج عن القضاء الإسلامي.

ومن فروعها تكثير مراكز التبشير بالنصرانية في الوطن القبائلي.

ومن فروعها راديو الجزائر للغة القبائلية.

وليست الحكمة في الإذاعة القبائلية هي الأخذ بخواطر القبائل وتشريف لغتهم؛ لأن الحكومة تعلم ما نعلم من أنّ خمسة وتسعين في المائة من القبائل سكان (مداشر)[1] في رؤوس الجبال لا يعرفون الراديو ومن (ردّاه)، ولا يسمعون صوته ولا صداه. والخمسة في المائة من سكان الحواضر والقرى الاستعمارية يتكلمون العربية ويفهمونها كما يفهمون الفرنسية، ويستطيبون الإذاعة العربية، ويطربون للموسيقى العربية لأنهم عرب مسلمون، رغم أنف الاستعمار.

وإنما الحكمة الاستعمارية في هذه المسألة خاصة – زيادةً على ما تقدم – أن يشيع في العالم الذي لا يعرف لهذا الوطن إلا لغةً واحدة وهي العربية، أن فيه لغةً أخرى يتكلمها كثير من الناس ولا يفهمون العلم والحياة إلا بها، بحيث اضطر – شفقةً عليهم ورحمةً بهم – أن يخصص لهم إذاعةً، وينفق عليها الملايين احترامًا لهذه اللغة، ولأهلها.

ولو علم العالم حقيقة الأمر وعلم ما عليه أهل هذه اللغة من بؤس وما هم فيه من شقاء لقال للاستعمار الفرنسي ما يقوله المصري لقليل الحياء: (اختش).

إن هذه (العملية) الجديدة سلاح مبتكر لحرب العربية، ومكيدة مدبرة للتقليل من أهميتها، وحجة مصطنعة لإسكات المطالبين بحقها في وطنها. ولكنه سلاح مفلول؛ ومكيدة فاشلة وحجة داحضة، يسخر منها القبائلي قبل العربي. وسيعلم الاستعمار وأعوانه أن هذه الموجة ستبتلعها أمواج، وأن المذيعين فيها كالمغنين في المقبرة. أصداءٌ في الأثير، لا تحرّك ولا تثير.

وقد فات هذه الحكومة، التي تنفق أموال الأمة فيما لا يفيدها، أن اللهجات البربرية بهذا الوطن متعددة متباعدة، بحيث لا يفهم أهلها بعضهم عن بعض، وهبها أرضت بهذا الصنيع واحدة فأين الأخريات؟ وأين المزابية والشاوية[2]؟ أم أنها ستخصّص لكل واحدة موجةً حتى ترضي الجميع؟

1) مَداشر: جمع «دَشْرَة» وهي القرية.
2) المزابية والشاوية: لهجَتان بربريتان.

إن الجميع بحكم العروبة والإسلام لا يرضَوْن بغير العربية بديلًا. كما لا يرضون بغير الإسلام دينًا.

لسنا بهذه الكلمات ننتقد راديو الجزائر ولا برامجه ولا رجاله. ولو شئنا نقده لنقدناه في الصميم، ورميناه بالمقعد المقيم، ولنشرنا ما وهبه الله من جمود البرامج وتفاهة المواضيع وضيق العطن، ولكننا قوم عمليّون، فلا ننتقد من جوانب الراديو إلا ما يعنينا كعرب نغار على لغتنا، ومسلمين نغار على ديننا؛ وما الراديو إلا أداةٌ حكومية تسيره في أغراضها، ولو شاءت لجعلت منه مدرسة تهذيب، ومنبع حقائق، ولكونت منه لسان صدق ينشر محاسنها ومحامدها ويستهوي إليها أفئدة العالم، لا بوق تضليل ينشر مكايدها الاستعمارية، ويُلبسها حللًا مستعارة تمزقها نسمات الحق فضلًا عن عواصفه.

نحن ننتقد عملًا من أعمال الحكومة، اتخذت الراديو وسيلة لتنفيذه، فإذا ذكرناه هنا فإنما نذكره بالعرض لا بالقصد، وقد قصرنا... وسنطيل...

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة أ–هـ

الفصل التمهيدي

لمحة عن حياة المخاطب (الشيخ محمد البشير الإبراهيمي): 08

1– مولده ونشأته. 08

2– نشأته وتعليمه. 08

3– وفاته. 08

4– أهم مؤلفاته. 09

أولا: جمعية العلماء المسلمين: أعمالها ومواقفها: 10

1– تأسيس جمعية العلماء المسلمين. 10

2– دورها أعمالها ومواقفها. 10

ثانيا: الحجاج والنَّفي: 12

1– مفهوم الحجاج. 12

1.1. لغة 12

2.1. اصطلاحا 13

3.1. آليات الحجاج 15

2– مفهوم النَّفي. 26

1.2- لغة . 26

2.2- اصطلاحا. 27

3.2- أنواع النفي. 28

4.2- أدوات النفي. 30

ثالثا: حجاجية أسلوب النفي. 31

الفصل الثاني: حجاجية النفي في مدونة عيون البصائر

أولا: عيون البصائر بين الشّكل والمضمون. 35

1- التعريف بالمدوّنة. 35

2- البنية الخطابيّة لمدونة عيون البصائر. 36

3- قراءة وصفيّة وفق النَّموذج المقترح عن كتاب عيون البصائر. 37

ثانيا: حجاجيّة النّفي في مدوّنة عيون البصائر. 39

1- عامل النفي (لا). 39

2- عامل النفي (ما). 44

3- عامل النفي (لم). 46

4- عامل النفي (غير). 48

5- عامل النفي (ليس). 49

الخاتمة 52

المصادر والمراجع 55

الملاحق 59

الفهرس 88

الملخص

الملخص:

عالجنا في بحثنا هذا، "حجاجية النفي في مقالات البشير الإبراهيمي مدونة عيون البصائر، أنموذجا ".

حيث تعرضنا فيها بشكل عام إلى: لمحة عن جمعية العلماء المسلمين، ومدونة عيون البصائر، وصاحبها، ومفهوم الحجاج، والنفي معجما، واصطلاحا، مسلطين الضوء بشكل خاص على: أهم أدوات النفي (لا- لم- ما- ليس —غير) التي استخدمها البشير الابراهيمي في مقالاته التي اخترنا منها ما هو اجتماعي وما هو سياسي، حيث يهدف الابراهيمي بذلك إلى إثبات الفرضية الحجاجية وإقناع المتلقي بالموقف المتبنى، واستمالة عقله وتوجيهه الى النتيجة المقصودة والتي كانت الغاية منها إصلاح كل أو جزء من كل ما هو فاسد في مجتمعه.

فاللغة والقلم هنا كانا هما السلاح في التوجيه والتأثير.

الكلمات المفتاحية: حجاجية النفي، الغايات الحجاجية، أدوات النفي، عيون البصائر، الإقناع، التأثير.

Abstract :

In our research, we dealt with the "Pilgrimage to Negation in the Letters of the Association of Muslim Scholars, its actions and stances, the "Uyun Al-Bassair" blog by Al-Bashir Al-Ibrahimi, as a model".

In it we were exposed in general to: an overview of the Association of Muslim Scholars, the Uyun al-Bassair blog, its owner, the concept of al-hijaj, and denial lexical and idiomatic, highlighting in particular: the most important negation tools (no - why - what - not - other) that al-Bashir used Al-Ibrahimi in his articles from which we chose what is social and what is political, with this aiming Ibrahimi to prove the argumentative hypothesis and to convince the recipient of the adopted position, and to win his mind and direct him to the intended result, where he gave his right of competence in writing these articles, whose purpose was Repair all or part of everything that is corrupt in his society.

The language and the pen here were the weapon in direction and influence.

Keywords : pilgrims of the negation, pilgrim goals, negation tools, eyes of insights, persuasion the influence.